صاحب المجلة
محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

رئيس التحرير
محمد صبيح

سكرتير التحرير
طه عبد المنعم

مجلة
الإسلام والتصوف

مجلة أسبوعية تصدر شهرية مؤقتا
تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية

"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"

الاشتراكات
٦٠
في الجمهورية العربية المتحدة
٥
ثمن العدد
العنوان
مشيخة الطرق الصوفية
بميدان سيدنا الحسين
القاهرة
تليفون ٥١٣٩٣

العدد الثاني ، السنة الثالثة ، ٧ محرم عام ١٣٨٠ ١ يولية عام ١٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المنهج الصوفي

ربط العبادة بالعمل والأخلاق بالقوة

لسماحة السيد محمد محمود علوان

كان حديثاً صوفياً عليا قيما، ذلك هو الحديث الذى أدلى به السيد الدكتور حسن عباس زكى، وزير الاقتصاد المركزى إلى مجلة « الإسلام والتصوف » فى عددها الماضى.

ولقد شهدت مولد هذا الحديث فى مكتب السيد الوزير، وعلى هامش الحديث، كان حوار ممتع مثمر،

حول التصوف ورسالته ، وكيف كانت هذه الرسالة هى مشاعل النور والحياة والقوة والإلهام للعالم الإسلامى عبر تاريخه المجيد .

ثم كيف تبدلت هذه الرسالة العليا فى عقول الناس وفى واقع حياتهم خلال عصور الرجعية التى ألقت ظلها وظلامها على العالم الإسلامى .

وكيف أساء بعض الناس فهم هذه الرسالة ، فحولوا مافى التصوف من قوة وبعث ودفع لعجلة الحياة ، ونهوض بمقومات الوجود ، واعتصام بفضائل الروح والأخلاق ، واستمساك بالمثل العليا ، حولوا كل هذه الإيجابية البناءة النشيطة فى الحقلين الدنيوى والأخروى إلى سلبية وانعزالية متواكلة زاهدة ، بعيدة عن وثبات الروح ، بعدها عن وثبات العقل ، ودوافع الحركة والعمل .

وفى خلال هذا الحوار الصوفى الفاقه المستنير ، قال صديق الأستاذ طه عبد الباقى سرور ، إن الإمام الشعرانى كان يقول فى دروسه التى يلقيها فى زاويته : « . . إنه يتمنى أن تكون مسبحة النجار التى يتقرب بها إلى الله منشاره الذى يكسب به رزقه ، وأن تكون فأس الفلاح التى يشق بها الأرض ، هى ورده الذى يعبد به ربه » وتذكرت وأنا أستمع إلى هذه الكلمة الطيبة ، ماقاله الإمام الشعرانى رضوان الله عليه فى كتابه — الجواهر — فى تفسير قوله تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » يقول الشعرانى .

— . . ليست العبادة المطلوبة فى الآية أن يترك الناس أعمالهم وينقطعوا لعبادة ربهم فى الخلوات والزوايا . بل الآية تشير إلى معنى أعلى ، فكل عمل فى الحياة يريد به صاحبه وجه الله فهو عبادة ، أى أن الناس يعبدون ربهم بإتقان أعمالهم ، وبالقيام بواجباتهم الدنيوية وبالجهاد فى سبيل إعلاء كلمة الحق ونفع العباد ، يعبدون الله بهذا ، كما يعبدونه فى صلاتهم وصيامهم وحجهم وذكرهم ، وبهذا تكون جميع أعمالنا فى الحياة عبادة تحقيقاً لقوله تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون »

ذلك هو منطق التصوف ، وفهم الصوفية لدينهم ولدنياهم ، وبهذا الفهم وبهذا المنطق ، تولى شيوخ الصوفية تربية مريديهم وأتباعهم وهم جمهور الأمة الإسلامية ، وكونوا الجامعات الشعبية الكبرى التى أضاءت أرجاء

العالم الإسلامى ، وصنعت ثقافته وعقيدته ، وصانت أخلاقه وروحه ، وصاغت عزائمه وأهدافه ، قبل أن توجد الجامعات العلمية الرسمية .

لقد ربط الصوفية بين الدين والحياة ، وبين العبادة والعمل ، والأخلاق والقوة ، واستغلوا الروح الصوفى القوى الحى . الذى يربط بين المريد وربه ، والمريد ونبيه ، والمريد وكتابه ، استغلوا هذه الطاقة الحارة الملهمة فى توجيه أتباعهم إلى المعانى المثالية الإيجابية التى تجعلهم مواطنين صالحين نافعين لأنفسهم ولأمتهم وللإنسانية كافة .

علموهم الحب الشامل للكون كله ، ومن هذا الحب انبثق حبهم للخير والكمال والجمال وللإتقان ولكل مثمر نافع فى الحياة .

ولقنوهم الرحمة المطلقة ، وبهذه الرحمة كانوا المثل العليا فى التعامل الإنسانى ، والعلاقات الإنسانية .

ودربوهم وسلكوا بهم إلى فضائل النفس ، وآداب الحس ، وطهارة القلب ، ونقاء الضمير ، وعفة اليد واللسان والجوارح كافة فكانوا النماذج الحية للكمال الإنسانى ، فى أطهر صوره ، وأصفى ألوانه .

ثم صعدوا بهم درجات فى طريق الوصول . فلقنوهم ان أحب الناس إلى الله أنفعهم لعباده ، وان اليد العليا خير من السفلى ، وان الله يكره أن يرى عبده فارغاً من عمل الدين أو الدنيا . . وان الله سخر الكون لنا ، وحملنا الأمانة ، أمانه فهم هذا الكون واستكشافه واستغلال طاقاته وخيراته ، التى أودعها الله فيه ، استغلالها لنا ، ولصالح الناس وأمنهم ورفاهيتهم وسعادتهم .

فكلما كشفنا عن طاقة من طاقات الكون ، سبحنا بحمد الله المنعم المتفضل ، وشكرنا القوى القادر الذى أتقن صنع كل شىء .

ومن هنا كان العلم فى منطق التصوف عبادة ، وكان العمل فى منهج التصوف عبادة ، وكانت القوة لدى المتصوفة عبادة .

وبهذا الربط المحكم بين الدين والدنيا لصالح الناس كافة ، ولخير الوجود كله ، كان الصوفية هم شراح الإسلام ومطبقوه ، وهم أمناء الله وأحبابه وأولياؤه ، الذين حملوا أمانة الكتاب ، بل أمانة الكتب والرسل كافة

يقول العلامة الكلاباذى فى كتابه ـ التعرف لمذهب أهل التصوف ـ وهو يتحدث عن الصناعات والحرف .

« . . . ويشتغل العبد بها على حسب ما يشتغل فى إتيان ما ندب إليه من النوافل لا على أن بها تجلب الأرزاق وتحر المنافع فحسب »

وهى كلمة من أدق الكلمات ومن أعلاها فى شرح موقف التصوف من العمل .

فالصوفى يعمل فى حرفته وفى صناعته ، لا لجلب الرزق والمنفعة فحسب ، بل يعمل فيها فى قداسة وفى مراقبة وفى شعور حى ، كما يعمل فى نوافل العبادات التى تقربه إلى الله سبحانه .

إن العمل واجب دينى ، وإتقانه فريضة مقدسة . وبهذا نضع فى قلب الصانع ضميراً حياً يدفعه إلى الكمال ، ومصباحاً مشعاً يرشده إلى الإتقان والاجادة ، إنه يعمل وهو يحس ويشعر بأن الله معه يراه ويسدد خطاه ، ويأخذ بيمينه ، إنه يعمل وكأنه فى الصلاة ، وكأنه مع ورده وذكره .

وبهذا يكون الصانع الاسلامى أعظم صانع فى الحياة ، إنه صانع سليم الوجدان ، كريم الأخلاق ، زكى الاحساس ، نبيل القصد ، عامر القلب بالثقة والايمان .

وتكون الصناعات الاسلامية أقوى صناعة عالمية إنها صناعة أسست على الخير ، وقامت على التقوى . واستهدفت سعادة الانسان وأمنه .

إنها صناعة وعبادة . انها صناعة وأخلاق ، انها صناعة لها ضمير ومعها قلب لا يعرف الغش ولا الخداع ، ولا يدنو منه الحقد والغضب ، ولا يندفع الى التمرد والاضراب ، ولا يجنح الى الاستعباد والاستعلاء وانكار من بيده ناصية كل شىء المهيمن الكبير المتعال .

وبهذا توجد المدنية الفاضلة القائمة على التوازن بين الروح والعقل ، والعلم والخلق ، والقوة والايمان .

ذلك هو التصوف الاسلامى ، منهج إيمانى حضارى ، بلغ الذروة فى التسامى الخلقى ، وبلغ الكمال فى التصعيد المثالى ، وبلغ القمة الشامخة فى الدوافع الايجابية التى تبنى الحياة وتصنع العزمات العاملة .

يقول الامام أبو الحسن الشاذلى : « من لا عمل له فلا يأتينا فمن لا خير

فيه الدنيا لا خير فيه للآخرة ».

ويقول القطب السيد إبراهيم الدسوقى . « من لم يعمل بيديه فى سبيل عيشه فليس من أبنائى »

ويقول العارف الولى السيد أحمد البدوى: « إكسب خبزا ثم اعبد ربك »

وكان العلامة — الهروى — يقول لأصحابه : « كونوا سادة فى دنياكم بعملكم حتى لا يمتهن الطريق »

تلك إشعاعات نطلقها على موقف التصوف من العمل فى الحياة ، لنمحو بها ما شاب التصوف من سوء فى أفهام بعض الناس ، ولنضع بها منهجاً يمشى مع أخواته من المناهج التى نعدها لنهضتنا الصوفية البناءة التى تواصل خطوها فى ثقة وفى قوة ، بجوار نهضتنا العربية الكبرى .

أما موقف التصوف من التوكل أو التواكل ، وهو معترك دارت حوله الأقلام طويلا ، فموعدنا به العدد القادم إن شاء الله .

« وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . »

عيد الهجرة

احتفل العالم الإسلامى ، بعيد الهجرة النبوية ، عيد العظمة البشرية فى أكمل صورها ، والرسالات السماوية فى قمة كمالها .

العيد الذى غير مجرى التاريخ ، وصعد بالإنسانية من مهدها الوثنى ، إلى أفقها الربانى ، ومن تحللها الخلقى ، إلى خلودها الروحى .

عيد النبى الذى وقف فى وجه الدنيا باسم ربه ، وقاوم البطش والجبروت والجاهلية بكتابه ، وحرر الإنسانية من ماديات الحياة ، ليجعله عبدا خالصا لله .

ومجلة الإسلام والتصوف ، تتقدم بالتهنئة للعالم الإسلامى ، بعيده العظيم ضارعة إلى الله سبحانه أن يلهم قلوبنا معانى هذا العيد حتى ننهض برسالته .

بقلم الأستاذ
طه عبد الباقى سرور

(٩)

الحلاج وأعلام التصوف فى عصره :

ومن صلة الحلاج بالله ، تكونت فلسفته الذوقية والإيمانية ، التى عرفت فى التاريخ بالحلاجية ، تلك الفلسفة التى طبعت التصوف فى عصره الذهبى — عصر الحلاج — بطابعها ، والتى غدت كما يقول — نيكلسون — الراية التى تأتم بها العصور التى تعاقبت من بعده ، والتى جعلت رجال الفكر الأوربى ، يطلقون على الحلاج لقب « المفتى » فى الأمور الصوفية ، كما يقول العلامة — ليبنتر —

ومن صلة الحلاج بالله ، انبثقت شخصية الحلاج ، تلك الشخصية التى تلاقت فيها ، العملاقية الجبارة الرهيبة ، بالروحانية المشعة الحبيبة .

تلك الشخصية التى شكلت وخطت فى التصوف الإسلامى أروع آياته ، وأخلد مواقفه .

وشخصية الحلاج عندى من ألغاز التاريخ ، ومن مواقف العقول .

فهى شخصية فى ملامحها العقلية والإيمانية ، عمق يندفع جباراً إلى أغوار ليس من السهل على الباحث أن يلاحقها فى اندفاعها ، وأن يتابعها فى مسالكها .

وفى آفاقها الذوقية والخلقية ، انفساح وشمول ، تقصر أجنحة الدارسين عن الدنو منها ، والإمساك بآثارها .

إن الحلاج يفهمه القلب ، أكثر مما يحيط به العقل ، ويدركه الحس ، ويدنو منه الوجدان ، أكثر مما يحلله الفكر والبيان .

إنه فى حاجة إلى أن نرتفع بأذواقنا ومواجيدنا ، وأن نتلمس بأرواحنا وأشواقنا ، الطريق الذى نطل من نوافذه على أسرار ذلك الروح الكبير ، الذى حاول فى عظمة شاهقة ، أن يكون صورة الولى الكامل ، المعبر عن الله .

والذى حاول فى بطولة خارقة ، أن يكون الشهيد الذى يكتب بدمه آية الفداء لحبه وعقيدته .

الشهيد الذى وقف على آلة صلبه ، يتحدى الدنيا فلما قطعت أعضاؤه ، وتدفق دمه ، أخذ يتوضأ بهذا الدم ، فلما سئل ماذا تفعل ، قال : « ركعتان فى العشق لا يصح وضوؤهما إلا بالدم » .

ولسنا هنا بصدد تحليل تلك الشخصية الخارقة ، فلهذا مكانه من تلك الدراسة .

وإنما نقدم لمحات ، ترشد وتومىء إلى شخصية الحلاج ، وتلقى شعاعاً من الضوء على أسرارها .

وتلك اللمحات التى نقصدها ، هى موقف أعلام التصوف الإسلامى فى عصر الحلاج من الحلاج ؟ وموقف الحلاج منهم .

يقول المستشرق — الفرد فون كريمر — : « فالكل مجمعون على أنه كان على رأس فرقة كبيرة ، وأنه كان له أتباع كثيرون ، أعجبوا به ، واتخذوه إماماً ومرشداً [1] » .

ويذكر لنا ماسنيون [2] : أن كثيراً من الأمراء ، وقواد الجيش ، وعظماء الدولة العباسية ، وأعلام المعتزلة ، وفقهاء الحنابلة ، وصفوة من المفكرين والمصلحين ، ومع كل هؤلاء جمهرة كبيرة من الناس ، كانوا جميعاً من أتباع

---

(١) فى التصوف الإسلامى وتاريخه لينكلسون ص ١٣٠

(٢) شخصيات قلقة فى الإسلام .

الحلاج ، ومن تلاميذه ، ومن المؤمنين بقداسته وولايته ، ودعوته الإصلاحية :

ومع هذا كله ، فإن عدداً من أعلام التصوف الإسلامى فى عصره ، قد خاصمه ولم يناصره فى أهدافه وصيحاته ، ولم يسانده فى محنته واستشهاده .

لقد جاء الحلاج ليضيف جديداً إلى التصوف الإسلامى ، فى صلته بالله ، وفى صلاته بالحياة .

لقد جاء الحلاج ، لا ليكون صورة مكررة من الناس أو من العلماء ، أو سطوراً متلألئة فى كتب التاريخ بجانب السطور التى خطها المفكرون أو العابدون .

جاء ليكون كتاباً وأمة ، جاء ليقيم منهجاً ، ويرسم طريقاً ، ويفتح أفقاً ، ويجعل من نفسه بعد هذا « صورة صادقة معبرة وقائمة بمنهجه وطريقه وأفقه .

جاء ليصنع من تاريخه معالم وصوراً ، تهتدى بها الانسانية ، فى سيرها المضىء إلى الله ، وفى جهادها العنيف للكمال والتسامى .

كان الحلاج ينشد فى المعرفة ، أن يظفر الصوفى ، بحظ من الفيض الالهى ، ليعبر دائماً عن الارادة الالهية .

فإذا عبر عنها ارتفع إلى أفقها وقداستها ، فأصبح قوله ، صورة إيمانه فى دنياه ودينه .

ومن هنا جاءت عظمة العقيدة الحلاجية ، التى أخذت كل شىء بقوة وعزم وبقداسة ، ولم تقبل أبداً ، تساهلاً ، أو ترددا ، أو تقية .

يقول الحلاج : « الواجب على أولياء الله ، أن يتوجهوا إلى الله وحده ، ويتحققوا بمعنى العبودية الكاملة ، ويطيعوا أمره مهما كلفهم ذلك ، من عنت وشقاء » .

والولاية عند الحلاج : تبلغ كمالها عن طريق الابتلاء ، واحتمال الألم ، وتبلغ جلالها بالجهاد والتضحية .

فالصوفى المحب ، هو الذى وهب نفسه لله ، وصبر على ابتلائه فى دنياه ، صبره على امتحانه فى حبه وإيمانه .

يقول الكلاباذى : « — ١ — سمعت بعض مشايخنا يقول : سمعت محمد بن سعدان يقول : خدمت أبا المغيث — الحلاج — عشرين سنة ، فما رأيته أسف على شيء فاته ، أو طلب شيئاً فقده »

ويقول : « — ٢ — وكان أبو المغيث ، لا يستند ولاينام على جنبه ، وكان يقوم الليل ، وإذا غلبته عينه ، قعد ووضع جبينه على ركبته ، فيغفو غفوة ، فقيل له : ارفق بنفسك ! فقال : والله ما رفق الرفيق بى رفقاً فرحت به ، أما سمعت سيد المرسلين يقول : أشد الناس بلاء ، الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل »

ويقول : « — ٣ — سمعت بعض أصحابنا ، يقول : سمعت بعض الكبراء — الحلاج — يقول — : ربما أغفو غفوة وأنادى : أتنام عنى ؟ إن نمت عنى ، لأضربنك بالسياط »

والصوفى المحب لله ، هو الذى يقوم بكلمات الله فى الأرض ، مجاهداً مناضلا مضحياً بكل شيء ، حتى تعلو كلمة الحق . وتمشى الإنسانية ؛ على الصراط المستقيم .

إن المحبة هى التضحية وهى الجهاد ؛ والصوفى المحب لله . هو من كانت كلماته صورة عمله فى الدين والدنيا .

ومن هنا لم يكن زهد البسطامى ، ولاتقية الجنيد ، ولاسلبية المكى . ولاتردد الشبلى ، مما يرضى عنه الحلاج .

لقد ثار الحلاج فى عنف . وفى قداسة . على ولاة عهده . وفساد عصره .

كما ثار فى عنف وفى قداسة ، على السلبية الزاهدة التى عاشها كبار المتصوفة من معاصريه ، الذين قنعوا بعبادة الله وحبه ، غير ناظرين إلى واجباتهم حيال خلقه .

لقد عاب الحلاج على أبى يزيد البسطامى زهده العنيف الذى اتخذه طريقاً للوصول وقنع به ، فالوسيلة هنا ليست هى الأداة الكاملة ، وليست هى غاية التصوف أو سبيله .

إن الصوم والصلاة ، ليست طرقا موصلة إلى الله ، بذاتها ، كما أن الذكر لايعتبر وسيلة تفرض النتيجة على الله سبحانه .

إنما هو الحب ، الحب الذى يقربنا إلى الله ، الحب تحترق فيه شهواتنا

ونزواتنا وأرضيتنا ، الحب الذى يزورنا الله خلال لهيب وجده ، ويمديه إلينا ، ويباركنا ويلهمنا ، الحب مع التضحية الكاملة ، ومع القيام الكامل بحق الله علينا فى عبادته ، وبحق الله علينا حيال عباده .

ويروى لنا على بن أنجب الساعى ، عن أبى محمد الجسرى ، المعاصر للحلاج ، قصة تاريخية ، تعطينا صورة عن خصومات الحلاج مع صوفية عصره ، وكيف بدأت تلك الخصومات .

د ـ ١ ـ عن أبى محمد الجسرى قال : رأيت الجنيد ينكر على الحلاج ، وكذلك عمرو بن عثمان المكى وأبو يعقوب النهر وجورى ، وعلى بن سهل الأصبهانى ، ومحمد بن داود الأصبهانى .

أما أبو يعقوب فقد رجع عن إنكاره فى آخر عمره ، وأما عمرو بن عثمان ، فكان علة إنكاره أن الحلاج دخل مكة ولقى عمرا ، فلما دخل عليه قال له : الفتى من أين ؟ فقال الحلاج : لو كانت رؤيتك بالله لرأيت كل شىء مكانه ، فإن الله تعالى يرى كل شىء ، فخجل عمرو وغضب عليه ، ولم يظهر وحشته حتى مضت مدة ، ثم أشاع عنه أنه قال : يمكننى أن أتكلم بمثل هذا القرآن ! ؟

وأما على بن سهل فدخل الحلاج اصفهان وكان على بن سهل مقبولا عند أهلها ، فأخذ على بن سهل يتكلم فى المعرفة ، فقال الحسين بن منصور : يا دسوقى تتكلم فى المعرفة وأناحى ؟ فقال على بن سهل : هذا زنديق ؟

وأما الجنيد ، فكنت عنده ، إذ دخل شاب حسن الوجه والمنظر وعليه قميصان ، وجلس سويعة ، ثم قال للجنيد .

ما الذى يصد الخلق عن رسوم الطبيعة ؟ فقال الجنيد : أرى فى كلامك فضولا ! أى خشبة تفسدها .

فخرج الشاب حزيناً وخرجت على أثره ، وقلت : رجل غريب قد أوحشه الشيخ ، فدخل المقابر ، وقعد فى زاوية ، ووضع رأسه على ركبته .

فأتيت الشاب وجلست بين يديه ألاطفه وأداريه ، ثم قلت : الفتى من أين ؟ قال من بيضاء فارس ، إلا أننى ربيت بالبصرة .

فاعتذرت لديه للجنيد ، فقال : ليس له إلا الشيخوخة ، وإنما منزلة الرجال تعطى ، ولا تتعاطى ... »

ثم تغلظ هذه الخصومة ، كلما اندفع الحلاج إلى الثورة على فساد عصره ، وإلى الدعوة إلى حكومة الأولياء والأقطاب ، كما كان يسميها الحلاج .

وأخذ الحلاج فى عنف وفى قداسة يتحدى أعلام المتصوفة فى عصره .

إنه رجل عقيدته صورة قوله ، فلا مجاملة عنده فيما يعتقد أنه الحق .

روى الكلاباذى فى التعرف : « أن الحلاج حفر حفرة وأوقد فيها النار ووضع هاوون حتى صار كالجمر ، وقال لمن يجادله من الصوفية ، ومن كبار العارفين: من كان صادقا بالله فليتقدم ويقف على الهاوون داخل النار ، فلم يقدر على ذلك أحد .

ثم أنه تقدم ووقف عليه فذاب تحت أقدامه ، حتى صار كالماء »

ويروى القشيرى فى رسالته : « ١٠ — قال الحلاج لابراهيم الخواص : ماذا صنعت فى هذه الأسفار ، وقطع هذه المفاوز ؟ قال : بقيت فى التوكل ، أصحح نفسى عليه ؟ فقال الحلاج : أفنيت عمرك فى عمران باطنك ، فأين الفناء فى التوحيد »

إنها السلبية عند غيره ، والإيجابية عنده ، قال الشبلى « كنت أنا والحسين بن منصور شيئاً واحداً إلا أنه أظهر وكتمت » .

والإيجابية الحلاجية ، التى تجعل الحلاج يدخل مسجد بغداد وأبو القاسم الجنيد يتكلم على المنبر ، والجنيد هو الجنيد مكانة وعلما .

فيهتف به الحلاج على مسمع من الدنيا : يا أبا القاسم إن الله لا يرضى من العالم بالعلم حتى يجده فى العلم فإن كنت فى العلم فالزم مكانك ، وإلا فانزل فنزل الجنيد ، ولم يتكلم على الناس شهراً — ٢ — »

يقول الحلاج فى عزة الواثق من نفسه : « من تكلم عن غير معناه ، فقد تحمر فى دعواه ، ثم تلا قوله تعالى : كمثل الحمار يحمل أسفارا : »

« البحث مستمر »

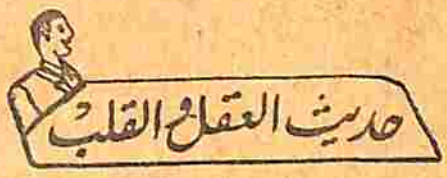

نظر وذوق وخلق

بقلم
الدكتور محمد مصطفى حلمى
أستاذ الفلسفة الإسلامية والتصوف بكلية الآداب بجامعة القاهرة

انقطع المريد المسترشد عن شيخه المرشد شهرا وبعض شهر ، ثم عاد إليه ، وأقبل عليه ، ولم يكد يجلس بين يديه ، حتى أخذ يتحدث إليه عما كان لحديث التذوق والتحقق الذى دار بينهما فى المجلس السابق ، من أثر فى حسه ونفسه ، وفى عقله وقلبه ، وعما راض نفسه عليه إبان الفترة التى انقطع فيها عنه من تذوق للدقائق اللطيفة ، وتحقق بمعرفة الحقائق الشريفة ، مؤثرا فى هذا التحقق وذلك التذوق طريق الوحدة الروحية التى تلتقى فيها وتجتمع عندها كل القوى والملكات النفسية من حسية وعقلية وقلبية .

ولم يقف المريد المسترشد عند حد وصفه لرياضة نفسه على هذه الوحدة الروحية فحسب ، ولا عند الثمرات الذوقية التى قطفها فى ظلها فحسب ، ولكنه تجاوز هذا كله إلى شىء آخر عمد إليه ، وعكف عليه ، ولم يكن أثره فى نفسه أقل من رياضته لها على التذوق والتحقق على الوجه الذى خلص إليه من حديثه السابق مع شيخه : ذلك بأنه أخذ يقص على شيخه قصته مع قصيدة ابن الفارض التائية الكبرى ، وأنه لم يكد ينصرف عن شيخه بعد حديثهما السابق ، حتى أقبل على هذه القصيدة الرائعة يستكشف وجوهها المشرقة ، ويستكشف معانيها المتألقة ، وأنه ما فتئ كذلك يلم بألفاظها ومعانيها مراراً ، ويستلهم أغراضها ومراميها أطواراً ، حتى

ألفى نفسه فى بستان من العوارف والمعارف ، فإذا هو يقطف من الأزهار مالم يكن قد قطف ، ويعرف من الأسرار مالم يكن قد عرف ، وإذا هو بصحبته لسلطان العاشقين ، ودراسته لقصيدة إمام الذائقين ، قد ذاق من الأذواق والأشواق مالم يكن له به سابق عهد .

على أن الشيخ المرشد لم يدع مريده المسترشد يسترسل فى حديثه ويستطرد ، فقد بدا له أنه مأخوذ بروعة ما عكف عليه من قراءات ، ومتعة ما ركن إليه من رياضات ، وأنه قد نسى أو تناسى ما قاله له فى نهاية حديثهما السابق عن التذوق والتحقق ، وهو أنه سيقف معه عند قصيدة ابن الفارض التائية الكبرى ، وقفات يكشف له فيها عما تنطوى عليه من الحقائق والدقائق ، ولكن بعد أن يعود به إلى حديث العقل وحقيقته ، وهو ذلك الحديث الذى طغى عليه حديث الذوق ورقته . وهنا أستوقف الشيخ مريده قائلا له :

ما بالك قد أغرقت واستغرقت فى حديث الذوق والتذوق ، والشوق والتشوق ، والحق والتحقق ؟ وما بال قلبك قد انطلق على سجيته ، فإذا أنت تنطلق معه إلى أبعد حد من حدود الإنطلاق ، وتحلق بروحك فى أعلى الآفاق ؟ وما بالك قد غلبت قلبك على عقلك ، وروحك على رويتك ، وتذوقك على تعقلك ، وتدبيرك على تدبرك ؟ أفلا تذكر أن موضوع حديثنا اليوم هو العقل الذى انتهينا فى حديثنا السابق إلى أن نرجع إليه ، ونعكف عليه ، فنحاول أن نتعرف حقيقته ، ونتبين طبيعته ، حتى يتبين لك معنى ما قصدت إليه حين قلت لك : « كن عقلا واعيا » ، وحتى إذا أردت أن تكون كما أردت لك ، كنت على بينة من أمر هذا العقل ، وعرفت سبيلك إليه ، وطريق اصطناعك له وتعويلك عليه ، بحيث تحقق فى حياتك النظرية والعملية المثل الأعلى الذى ينطوى عليه ويدعو إليه قولى لك : « كن عقلا واعيا » ؟ .

ألا ترى أنك لكى تصل إلى لطائف الحكمة فأنت أحوج ما تكون إلى منهج تعتمد فيه على النظر العقلى بقدر ما تعول على الذوق القلبى ، وأنك بحكم هذا المنهج فأنت أحوج ما تكون إلى ضروب من المعارف وألوان من الرياضات وفنون من المشاهدات ، وأن فى مقدمة هذا كله معرفتك للعقل وماهيته ، والقلب وطبيعته ، فضلا عن معرفتك بغير

العقل والقلب ، وأنه لابد لك لكى يستقيم لك هذا المنهج ، وتستقيم لك به معرفتك ، وتستقيم منك بهذه المعرفة أنظارك وأذواقك وأفعالك وأحوالك ، أن تكون على بينة من دلائل العقل وبرهانه ، كما تكون على بينة من وسائل الذوق وعيانه ، حتى إذا سلكت سبيلك إلى الحياة ، وعملت عملك فيها ، لم تكن حياتك سقيمة ولا عقيمة ، بل كانت حياة منتجة مثمرة تعرف فيها كل شىء بعقلك فتحلله وتعلله وتؤوله ، وتشاهد فيها كل شىء بقلبك فتعاينه وتتذوقه وتحققه ؟

ومهما يكن من شىء فدعنا الآن من هذا الحديث المعاد الذى سقتنا فيه إلى التكرار ، كلما بدا منك باد من الإصرار ، وقف معى لحظة عند العقل ، فلعلك أن تجد بعض ما ينفع أو يشفع أو يرفع ، ويعينك على تحقيق الكمال العلمى والعملى ، وهو ذلك المثل الأعلى الذى أردت أن آخذك به فأقره فى عقلك وقلبك ، وأن تأخذ به نفسك فتحققه فى علمك وعملك .

قال المريد المسترشد وقد بدت عليه بوادى الرضا والاقتناع بكلام شيخه المرشد :

ليس لى بعد الذى قدمت يا سيدى من علم ونصح وإرشاد ، إلا أن أكون عند ما تريد ، ولو أن فى نفسى رغبة تتردد وأحب أن أبديها ، ولعلك أن ترضى عنها ، وتوافقنى عليها .

قال الشيخ المرشد وهو يبتسم إبتسامة الرضا والقبول :

لك يا بنى الحق كل الحق فى إبداء آرائك ، والإفصاح عن رغباتك ، ومن يدرى فلعل فى رغباتك هذه ، وفى آرائك تلك ، ما يعيننا على كشف الحقائق التى نحن بسبيل الكشف عنها ، لا سيما ما أنى قد أخذتك فى تربيتك ورياضتك بمبدأ إطلاق النفس على سجيتها ، لأنى اعتقد أنه ما من رأى يرى ، ولا من رغبة تبدى ، إلا ولكل منهما نفعه وأثره فى محاولة الكشف عن الحقيقة ، فماذا تريد أن تقول ؟

قال المريد المسترشد :

أريد أن أقول إنى أحب أن يدور حديث العقل بيننا اليوم على طريقة السؤال والجواب ، فأسأل أنا وتجيب أنت ، وأن تكون الأسئلة والأجوبة محدودة ، وأن تكون الفاظها وعباراتها واضحة ، دون أن نخرج عن الموضوع ، أو نستطرد فيه ، أو نتزيد فى العبارة

عنه ، أو نمض فى الإشارة إليه .

وهنا ابتسم الشيخ المرشد إبتسامة أخرى لعلها كانت أدل دليل على إعجابه بمريده ، وابتهاجه بكلامه الذى إن دل على شىء فإنما هو يدل على أنه قد أفلح فى تربيته له ، وأن هذه التربية قد عملت عملها ، وأخذت تؤتى أكلها فى نفس المريد المسترشد فإذا هو يسلك مسلكا قويما ، وينهج منهجا سليما ، ويعرف كيف يصطنع التحديد والتوضيح حتى يكون الكلام واضحا مستقيما . ثم قال له :

ذلك ما كنت أبغى ، ولقد والله أصبت ما فى نفسى ، وما كنت لأدير هذا الحديث بينى وبينك إلا لأصل من نفسك وعقلك وقلبك إلى بعض ما أريد من تصفية وتنقية وتزكية وتحلية ، وها أنذا أحمد الله على أنى قد وصلت من ذلك إلى ما كنت أريد منك ، وما عمدت إلى أن آخذك به ، وأروضك عليه ، سواء فى النظر أو فى العمل ، وسواء مع نفسك أو مع غيرك ، وها أنت قد بدأ فكرك ينظم ، ومنهجك يقوم ، وقولك يحدد ، فإذا النهج الواضح محجتك ، وإذا المنهج الموضح وسيلتك ، ومن كان هذا منهجه ، وذلك نهجه ، كان على كشف الحقيقة أقدر ، وكان الحق على يديه أظهر .

وهكذا يتبين لك يا بنى أنك إذا أردت أن تفلسف أو تتصوف ، وأن تكون صاحب بحث ونظر أو صاحب وجدو ذوق ، أو مؤلفا بين نظر العقل وبين ذوق القلب ، فكن أولا صاحب منهج ، وليكن منهجك مزاجا من مبادىء علمية ومبادىء عملية : فأنت فى بحثك عن الحقيقة بعقلك ، أو فى تذوقك لها بقلبك ، محتاج إلى منهج قوامه العلم والخلق ، ولا تحسبن أن العلم شىء ، وأن الخلق شىء آخر ، وأن أحدهما يمكن أن ينفصل عن الآخر ، أو أن أحدهما يمكن أن يقوم أو يستقيم له الأمر بدون الآخر ، بل اعلم أنه لاخير فى علم بغير خلق ، كما أنه لاخير فى عالم يزعم أنه من أصحاب الفضيلة العلمية وهو أعرى ما يكون عن الفضيلة العملية وأمعن ما يكون فى الرذيلة الخلقية . وإياك أن يكون مثلك كمثل هؤلاء الذين يصلون عن هذا الطريق أو ذاك إلى كراسى العلم وهم خلو من الخلق ، يرددون الفاظا وعبارات ، ويملأون صفحات وصفحات ، ويزعمون لأنفسهم وللناس أنهم علماء ، ويوهمون أنفسهم أو يوهمهم الناس بأنهم فضلاء ، والواقع

أنهم ليسوا من أولئك ولا من هؤلاء ، ذلك بأن أيديهم وإن جرت بالأقلام ، وألسنتهم وإن نطقت بالكلام ، إلا أن صدورهم قد خلت من القلب النقى والضمير الحى .

وهكذا يتبين لك يا بنى مرة أخرى أنه لابد لك من أن تقيم حياتك على دعائم علمية وعملية معا ، ومن أن تصطنع فيها منهجا قوامه النظر العقلى السليم ، والذوق القلبى المستقيم ، والخلق النقى القويم ، حتى إذا عرضت لمعرفة من المعارف ، أو للطيفة من اللطائف ، أو لمعنى من المعانى السامية ، أو لمبدأ من المبادىء العالية ، كنت بمأمن من الوقوع فى الزلات وبمنجاة من التعرض للشبهات ، وكنت فى حياتك مثلا أعلى ، خليقا بأن يحتذى .

وحسبك يا بنى بعد هذا كله ، بل وقبل هذا كله ، أن تستمد العناصر التى يتألف منها منهجك من قول أبى الحسن على بن محمد البديهى إذ تحدث عن لطائف الحكمة وعمن تعرض له فقال إنها « إنما تعرض لمن صح ذهنه ، واتسع فكره ، ودق بحثه ، ورق تصفحه ، واستقامت عادته ، واستنار عقله ، وعلت همته ، وخمد شره ، وغلب خيره ، وأصل رأيه ، وجاد تميزه ، وعذب بيانه ، وقرب اتقانه » .

وإذا كان لى بعد الذى قدمت أن أجمل لك المنهج الذى أحب أن تؤثره ولا تنفك عنه ، فأنا أقول لك وأطلب إليك وألح عليك ، أن تكون بالنظر محققا ، وبالذوق متحققا ، وبالخلق متخلقا ، وإلى أن تحقق هذا المنهج على يد عقلك وقلبك وعملك ، أرجو أن التقى بك فى حديثنا المقبل عن العقل ، وأنت أقوم مما كنت قيلا ، وأهدى مما أنت سبيلا .

أوراق الأيام

للدكتور يحيى الخشاب

مدير الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية

قرأت فى كتاب « أوراق الأيام » لجناب شهاب الدين ، الطبيب التركى الذى اشتهر بالأدب فى مطلع القرن العشرين ، ما يلى :

إن القعود فى نظر أكثريتنا خير من الوقوف والرقود خير من القعود ومن يعلم ؟ لعل الموت نتيجة الرقود ! أليس ياترى فى تكوين أفكارنا ومشاعرنا نصيب من المسئولية للطبيعة المحيطة بنا ؟ هلا يمكن فى الشرق الجميل إلا تنويم الروح على عرش الشعر والخيال ، بينما الآمال المحرقة والشاقة والمسرعة تتولد خلال الآفاق الخسيسة ؟ .. أمعنوا النظر فيما حولكم : حيث المجهود يبذل للدنيا فأنتم فى الغرب ، أما الشرق ، الذى هو مهبط الأديان ، فقد تعلقت الأنظار فيه بالسماء وبالآخرة فقط ، كما أن الأيدى فيه بقيت فى وضع الدعاء ! نحن متغافلون جميعا أو غافلون عن سر الدستور القائل : « ليس للإنسان إلا ما سعى » !

قرأت هذا لأديب الترك العظيم الذى أخذ يتناول عيوب المجتمع الإسلامى وتأثره بآراء الغرب فى التيارات الفكرية التى سادت على الألسن فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

والكاتب على حق فيما يذهب إليه ، ولكن الإلحاح فى ذكر المثالب كالإلحاح فى إسداء النصح ، قد يزيد الهمم تثبيطا وقد يدفع إلى العصيان بدلا من أن يقرب إلى الهداية .

وذكرت وأنا أقرأ كلام الكاتب التركى حادثة قريبة فى لد إسلامى هو إيران وقعت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، حادثة جديرة بأن نلتفت إليها

وأن نشيد بها لدلالتها على أن الأمة الإسلامية أمة صاحية وليست ميالة إلى القعود أو الرقود .

كانت الأسرة القاجارية تحكم إيران ، وكان ناصر الدين شاه يقترب من الغرب فى نزعاته ونزواته ، وكان الاستعمار الأوربى يتنافس فى كسب ميدان له فى إيران وكان نظام الامتياز قد سرت عدواه من تركيا ومصر إليها . وأقبل الاستعمار الإنجليزى على إيران ويده اليمنى ممدودة بالجنيهات الذهبية ويده اليسرى ممدودة لتسلم امتياز جديد . وكان السلطان ناصر الدين شاه كأسماعيل فى مصر : نهما لا يشبع ، فأخذ يعطى الامتياز تلو الامتياز للشركات الإنجليزية ويقبض المال دفعة بعد دفعة فيتلفه فى البذخ واللهو والرحلات . . . إلى أن كانت صحوة الرأى العام فى إيران ، والرأى العام قد يبدو غير يقظان وهو يتوثب : وغضب كبير رجال الدين ، لأن الشاه باع امتياز الدخان لشركة إنجليزية ! ولسوف تربح هذه الشركة أضعاف ما دفعت ، ولسوف تستأثر وحدها بما كان يتقاسمه تجار الدخان الفرس ، ولسوف تستبد بالمدخنين وتفرض عليهم ما تشاء من الأسعار .

وذات صباح قرأ الناس فى الجرائد أن السيد الشيرازى ، كبير رجال الدين ، يقرر أن التدخين حرام على المسلمين . وتناقلت الألسن هذه الفتوى وسرت بين الناس بذرة صالحة فى تربة صالحة وعرضت الشركة الإنجليزية بضاعتها فى الدكاكين وأعلنت عنها فى الصحف ولكن ليس من يشترى منها . . وبارت البضاعة وأفلست الشركة .

وذهب المدير الإنجليزى إلى قصر السلطان يحتج على فتوى رجل الدين وعلى مقاطعة الشعب للدخان ، وكان السلطان يعيش فى واد والشعب يعيش فى واد ، فأنكر السلطان ما سمع من الرجل وقال له بل كلنا ندخن وإليك الدليل !

ونادى السلطان خادمه وطلب « الشيشة » ولكنه انتظر وطال الانتظار ، فلما عاود النداء أقبل الخادم وعلى شفتيه ابتسامة النصر وأجاب السلطان بأن سيدته كسرت « الشيشة » لأن شيخ الإسلام أفتى بأن التنباك حرام !

وأسقط فى يد السلطان ولم يستطع أن يكابر ، ولم يستطع أن يخرج على اجماع الأمة ، ورد ما أخذ من المال لمدير الشركة الإنجليزية واسترد وثيقة الامتياز .

فتوى شيخ الإسلام لقيت صدى فى نفوس المسلمين فجعلوا منها نبراسا لهم وضحوا فى سبيل وطنهم بأحب التسليات إلى نفوسهم ألا وهو التدخين ! ولو كان الفرس المسلمون يؤثرون القعود على القيام والرقود على القعود لما ضحوا بهذا الإجماع بمكيف تعودوا عليه ولم يكن من اليسير صرفهم عنه .

وكان شيخ الإسلام رائعا فى موقفه .

وقصة أخرى ذكرتها بعد أن قرأت كتاب الكاتب التركى العظيم جدت حوادثها فى إيران أيضا .

قال صديق ونحن نسير فى السوق بطهران وهذا المطعم لشمشيرى ألا تعرفه ثم أخذ يقص علىّ قصته فقال :

حين أعلنت الحرب الأخيرة كان صاحب هذا المطعم يملك فى مخازنه كميات ضخمة من الأرز ثم ارتفع ثمن الأرز فصار أضعاف ما كان ، وقل الأرز بطهران وكان التجار يبيعونه بثمن غال للناس . أما شمشيرى فقد التفت فى هذه الساعة التى دق فيها الثراء بابه دقا إلى شىء آخر غير الغنى التفت إلى الصناعة بالرزق الحلال . التفت إلى الفقير الذى لم يتضاعف أجره والذى تعود أكل الأرز كل وجبة كما تعودنا نحن أكل الخبز . وفكر شمشيرى فى هذا الفقير كيف يتأتى له أكل الأرز وأجره المحدود لا يكفى . وقرر الرجل أن يبيع الأرز فى مطعمه بالسعر الذى اشترى به قبل أن يرتفع ثمنه ، على ألا يطمع غنى فى مشاركة الفقير هذا الغذاء بالسعر الرخيص . وتكبد الرجل مشقة الوقوف بالباب فى كل وجبة حتى يمنع القادر من مشاركة الفقير .

وانقضت سنين الحرب ، وأثرى كثيرون ثراءً عريضاً .

قال صاحبى وهو يشير إلى عجوز قوى يقف كالأسد بجوار الموائد الممدودة : أنظر إليه لقد حباه الله القوة وهدوء النفس وغناها وبارك له فى رزقه فهو من أغنى رجال السوق .

هذه القصة لواحد من ملايين المسلمين عرفه الناس وهناك غيره بلا شك :

إن أصحاب النفوس الكبيرة كثيرون والخير أغلب ولكن الناس يتحدثون عن الفعل السيء وقلما يشيدون بالعمل الطيب .

* * *

وفى بلدنا ، هذا البلد الأمين ، عرفت أن شيخا من شيوخ الإسلام عاب على الملك المخلوع سلوكه فى كابرى ، وكان الشيخ يطالب بميزانية للأزهر تعين على أداء رسالته ووزير المال بها ضنين فسأل رجل الشيخ رأيه فى تصرف وزير المال فقال : تقتير هنا وإسراف هناك ! وسارت هذه الجملة على أفواه الناس ، وهلل رئيس الوزراء ونادى الشيخ يسأله ما يقصد ويحذره ويهدده بأنه قد يتعرض لأذى كبير ! فإن الملك إذا غضب فويل للمغضوب عليهم . قال الشيخ محتداً على رئيس الوزراء :

هل يستطيع الملك أن يمنعنى من أداء الصلاة ؟

قال رئيس الوزراء :

لا يقدر على هذا !

قال الشيخ :

إذاً خذ هذه الاستقالة ودعنى أعبد ربى !

هذا الشيخ ، الشيخ عبد المجيد سليم رحمه الله ، يمثل قوة رجال كثيرين من رجال الدين لو أننا تتبعنا مآثرهم وأشدنا بها .

* * *

وبعد فإن الكاتب التركى الكبير قد أحسن حين كتب كتابه «أوراق الأيام» يحاول فيه أن يستثير همم المسلمين وأن يحفزهم على الجد والكفاح ومجاراة الأقوياء . ولو شاء هذا الكاتب القدير أن يصل إلى قصده من إحياء هذه الأمة بالتحدث عن مآثر رجالها وعما فيها من كامن الأصالة والخير لوجد مجال الحديث فسيحا ولكان حديثه أكثر تأثيرا فى النفوس .

يحيى الخشاب

العقائد والمذاهب

الإيمان المطمئن

للدكتور عبد الحليم محمود

« أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القلوبُ »

(٤)

وإذا كان النوع السابق من الإلحاد : إنما هو إلحاد نابع من انحراف الغريزة الجنسية ، أو غريزة التملك ، فهذا النوع الذى سنذكره ، هو ما يسمونه : الإلحاد العلمى ، أو الإلحاد المنطقى ؛ وهو إلحاد بعض الفلاسفة ، ليس كلهم ولا أغلبهم ؛ وإلحاد بعض المفكرين العلميين ، ليس كلهم ولا أغلبهم .

إن الحقيقة التى لا جدال فيها هى : أن الأغلبية العظمى من الفلاسفة ، ومن العلماء فى جانب الإيمان ، والإلحاد فى جو الفلاسفة ، وفى جو العلماء : شذوذ .

ومما لا شك فيه أن عباقرة الفلسفة : القدماء منهم والمحدثين : مؤلهون .

فسقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو ، وأفلوطين ، وديكارت ، وكانت من المؤلهين .

وإذا كان الإلحاد الفلسفى شذوذاً ، فان ذلك لا ينفى أنه حقيقة موجودة ، وأن له ممثلين باستمرار ؛ وهم - على حد تعبير الإمام الغزالى - « جحدوا الصانع المدبر ، العالم القادر وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه ، وبلا صانع ، ولم يزل الحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان ، كذلك كان ، وكذلك يكون أبداً » .

وديموقريطس ، فى العهد اليونانى ، هو الذى حاول بكل جهده أن يقيم من الإلحاد مذهباً ؛ وكانت فكرته هى :

أن المادة قديمة ، وهى مركبة من أجزاء لا تتجزأ ، وهذه الأجزاء ، أو الذرات

دائمة التحرك فى الفضاء اللا نهائى ؛ ومن اجتماعها تتكون الأجسام ، وبالافترقها تفنى وهكذا استمر الأمر من الأزل ، وسيبقى إلى الأبد بدون غاية ولا هدف ، إنها الآلية البحتة .

وهذه الفكرة وإن كانت قديمة ، فانها فكرة كل من يتخذ الإلحاد مذهباً فى العصور الحديثة ، وإن اختلفت كيفيات التعبير عنها .

إنها فكرة الماديين المحدثين ، كما كانت فكرة الماديين القدماء ولم يغير من جوهرها تحطيم الذرة أو تفتيتها ، اللهم إلا فى كيفية التعبير عنها .

وقد رد القدماء ، فى سهولة وفى قوة ، على هذا المذهب ، وكذلك فعل المحدثون وكانت حجتهم ، من الدقة ومن الإحكام ، بحيث تجعل المتأمل فيها لا يتأتى أن يقول بغيرها .

وقد لخص حجج القدماء الأستاذ : سانتلانا ، فى المخطوط المعنون بعنوان : « المذاهب الإسلامية » . . ونحن نورد تلخيصه الرائع فيما يلى :

وأما القول بالطبيعة ، وأن لا شىء غيرها : فهو لا يرضى العاقل المتبصر ؛ كأنه يقول :

نعم ، أنا لا أنازع فى كون الطبيعة والحركة : من أصول الموجودات ، وإنما توقفت فى كيفية صدور الفعل منها .

فلو لم يكن هناك إلا مادة تتحرك من الأبد إلى الأبد ، فمن أين حصل لهذا العالم هذا النظام العجيب ، والترتيب الغريب ، الذى حارت فيه العقول ، وقصرت عن إدراكه الفحول .

كيف ينسب ذلك إلى الاتفاق والصدفة ومجرد البخت ، البخت ، ليت شعرى ، كيف اجتمعت تلك الأجزاء ، وكيف تألفت ، على اختلاف أشكالها ، أو تباين موادها وقواها ؟ ! ! ، وكيف بقيت على تألفها ؟ ! ! وكيف تجددت على نمط واحد المرة بعد المرة ؟ ! !

وقد شهدت المعاينة : بأن حركات أجزاء لا نهاية لها ولا محرك : لا تفضى إلا إلى غاية الالتباس وعدم القياس !

هذا لعمرى ، كمثل من وضع حروف المعجم فى ظرف ، أو صندوق ، ثم جعل يحركها يوماً بعد يوم ، طمعاً منه أنها تتألف من تلقاء نفسها ، فيتركب منها

قصيدة بليغة ، أو رسالة عميقة فى المنطق ، أو فى الهندسة دقيق ! !

أليس من السفه البين ، فإنه لو دام على تحريكها السنين والدهور لما حصل من كده إلا على حروف ! !

فكيف يتصور حدوث هذا الموجود بما هو عليه: من الاتقان والإحكام، وتضافر الأجزاء، وعجيب مناسباتها بعضاً لبعض : من حركات اتفاقية فى خلاء لا نهاية له ؟!!

قال أرسطو فى كتاب « سمع الكيان » :

« إن كل نظام يدل على وجود العقل » .

وفضلا عن هذا ، فإن ما يحصل اتفاقاً لا يحصل إلا مرة واحدة ، ولا يتكرر، ولا يسوغ بناء حكم عقلى عليه ، ولا يقبل القياس ، بخلاف ما شهدت به التجربة فى عالمنا من الثبوت . ولولا هذا لما أمكن إنشاء علم من العلوم الرياضية والطبيعية.

هذا ، وإذا فرضنا وجود مجرد الطبيعه ، ولاشىء سواها ، فمن أين هذه القوة العقلية التى يجدها كل واحد من نفسه ؟ ! !

وهى — مع ما فيها : من العجز ، والقصور ، وكثرة الخطأ — من أظهر الشواهد على وجود ما يخالف مجرد المادة فى هذا العالم .

ولا سبيل ، من المادة ، إلى الأفعال العقلية ؛ لما بينهما من المغايرة الأصلية .

فوجود هذه القوه : يستدعى وجود جوهر يجانسها ويماثلها ، ليكون أصلا لها ومركزاً .

هل يحتمل : أن ما نشاهده : من قصور المعقولات ، والكشف عن الكليات وتفريق القضايا ، وتركيب القياسات : ليس هو ، فى نفس الأمر إلا اصطكاك جزء من المادة بجزء آخر ! !

هل يحتمل : أن ما تضمنته عقولنا : من الأبحاث الدقيقة ، والمآخذ العميقة : كالمنطق ، والرياضيات ، والالهيات ، وما فتنت من القلوب : من الشعر الرائق ، والمطرب من الألحان ، وسحر البيان : أصله من تلك الأجزاء ؟ ! !

وكانبعاث النار من اصطكاك الحجر بالحجر ، وذلك فى خصوص النار ؛ إذ ليس بين مادة النار ومادة الحجر فرق كبير .

ويا ليت شعرى ، ما النسبه بين الحجر والعقل ؟ ! !

فإذا كانت المادة غير قادرة لأن تكون علة لنفسها ، فمن باب أحرى وأولى . أنها لا تكون علة لما هو أعلى منها مكاناً وأهم شأناً ، فى درجة الوجود ؛ وإلا كان الأخس أصلا لما هو أرفع ؛ وهذا ما يستبعده العقل وتأنفه الفطرة السليمة .

أحاديث موجهة لأعلام الفكر الصوفى :

سيادة الأستاذ صلاح الدين السلجوقى

سفير الأفغانستان يقول ..

- التصوف هو طريق العلم الإسلامى إلى الوحدة والقوة .
- مجتمعاتنا فى حاجة إلى أخلاقيات التصوف ومثالياته .
- الحلاج هو الصورة الكاملة للصوفى وللانسانية .
- التصوف هو التخلق بأخلاق الله سبحانه

فى الصالون الشرقى الجميل ، بدار السفارة الأفغانية بالقاهرة ، وفى ذلك الجو الهادىء الوادع المعطر بأنفاس العلم ، المشرق بإشعاعات الروح والإيمان الجو الذى تشعر بنقائه والهامه ، وبشىء فوق النقاء والإلهام ، ينبثق وينطلق من النفس الإنسانية المطمئنة المشرقة بنور ربها ، النفس التى صقلها التصوف حتى رقت وصفت وزكت فخلقت فى عالم الجمال والكمال والخير ، الخير المطلق الذى يحيط بكل شىء ، ويترك طابعه وأثره على كل شىء .

ذلك هو إحساسى وشعورى ، وأنا أجلس إلى السفير العالم الصوفى الذائق ، السيد الأستاذ صلاح الدين السلجوقى سفير الأفغانستان أحدثه باسم قراء مجلة الإسلام والتصوف ، واستمع إليه لأنقل ما يقول إلى قراء مجلة الإسلام والتصوف .

وابتدأ الحديث .. وأحسست بأن محدثى يحلق فى أفق بعيد .. ويتصل بأفق علوى يمده بنشوة روحية مشرقة ، تجعل لكلماته سحراً ولنبراته عطراً ، ولقسمات وجهه نوراً .

وفى غمار هذه النشوة راحت عين السفير تدفع ، بل تذرف فيضاً من الدموع ، إنها دموع المحب العاشق الواله ، دموع الحب الإلهى . أزكى وأنبل وأعلى دموع تفتحت عنها جفون الإنسانية ، منذ اهتدت الإنسانية النبيلة إلى ربها ومولاها .

وأخذ السفير القلم من يدى وقال: دعنا منه الآن ، لا تسجل به شيئاً ، دعنا نتحدث أولا حديثاً خاصاً ، وطال حديثنا ، ومرت ساعتان ، ثم أمسكت بالقلم لأسجل به حديثاً آخر لقرائى .

تحدث السيد السفير عن التصوف كمكتب فكرى قديم عريق ، تمتد جذوره فى التاريخ إلى أبعد من أكاديمية أفلاطون .

إنه قطرة إنسانيه تلازم النفس وهى تتلمس طريقها إلى النور ، إلى الخير ، إلى الجمال ، إلى الله .

ثم جاءت الفلسفة بأسلوبها العقلى تحاول أن تصل إلى المعرفة فيما وراء الطبيعة ، فتحدثت عن الوجود المطلق ، والوجود فى عالم الأفلاك ، والوجود فى مرتبة التفرد ، والوجود فى مرتبة التعيين .

ثم استعاد التصوف مكانته مع الأديان السماوية ، ثم بلغ كماله فى الرسالة المحمدية .

لقد نشدت الفلسفة أن تعرف الله بالعقل ، لا بالحس ، وجاءت الأديان فأضافت إلى العقل العواطف كالخوف والرجاء ، وتخصص التصوف فى المعرفة عن طريق المحبة ، وانبثقت من هذه المعرفة المعانى الصوفية العالية .

المعانى التى انطلقت من الحب ومع الحب ، فالكون كله حب ، حتى أن الصوفى ليشعر أن فى الكائنات جميعاً عاطفة وحناناً ، وإحساساً وشعوراً .

يقول الصوفى الشاعر المحب :

« إذا فلقت قلب أى ذرة من الذرات ترى شمساً واضحاً »

يقول هذا قبل خمسة قرون من إهتداء العلم المادى إلى أن فى الذرات شمساً .

ويحس الصوفى بقلبه وذوقه وحسه أن الله معه قريب منه أقرب إليه من حبل الوريد ، ويحس بوحدته مع الطبيعة ، مع كل شىء ، يقول عبدالقادر بيدل :

« أى شىء يتمنى قلبى من هذه الحانة ، سوى حينما ضربت قدحى على الحجر ما كان الصوت إلا أنا »

ثم أمسك السيد السفير بقلمى ، وسبحنا معا فى الأفق الصوفى الأعلى ، ثم عدنا من هذا الأفق ، لنسأل السيد السفير .. ويجيب سيادته على أسئلتنا .

س : هل للصوفية عندكم طرق متعددة :

ج : للصوفية عندنا طرق كثيرة أشهرها وأكثرها عدداً ونفوذاً ، النقشبندية ثم القادرية وللتصوف فى بلادنا جلاله ومكانته ، ولعلماء التصوف الصدارة . يقتدى بهم ويهتدى بهديهم .

س : من هو أعظم شخصية صوفية تأثرتم بها .

ج : تأثرت بمولانا جلال الدين

الرومى ، وبفريد الدين العطار ، وعبد الرحمن الجامى ، وبشيخ شبسترى ، وأمير حسين السادات الهروى وجميعهم من أعلام التصوف ومن شيخوخة القدامى. وجلال الدين هو صاحب المثنوى أعظم الكتب الصوفية الفارسية ويلقب بقرآن فارس .

والشبسترى هو صاحب كتاب « حديقة السر » وهو أقوى الكتب الصوفية وأعلاها .

ومن تراث هؤلاء العباقرة ومن نماذج معارفهم العالية الأسئلة التى كتبها أمير حسين السادات الهروى إلى الشبسترى فى تبريز ، وجواب الشبسترى عليها .

وهى أحد عشر سؤالا وجهها الهروى إلى الشبسترى . وهاك نماذج منها .

١ — من أنا ؟ أخبرنى من أنا ، وما معنى القول سافر فى نفسك ؟

٢ — كيف انفصل المحدث من القديم فصار الأول إليها ، والثانى ترابا .

٣ — أى بحر صار العلم ساحله ، وأى جوهر أخرج منه ؟

٤ — إذا كان معروف العارف الذات الاطهر ، فما هذا الجنون فى رأس هذه الحفنة من التراب ؟

٥ — ما كان السر فى نكتة — أنا الحق — هل تتصور أنه كان مهملا هذا السر المطلق ؟

من هذه الأسئلة تدرك الأفق الرفيع من العلم ومن المعرفة الصوفية الأفق الذى عاش فيه هؤلاء العباقرة.

ولقد كانت أجوبة الشبسترى عليها تحليقة فى نفس الأفق العالى .

ومن نماذج هذه الأجوبة .

« . . إذا كنت تشاء أن ترد على السؤال فلك أن تأخذ الصغرى والكبرى والنتيجة والحد الوسط ، وكثير من هذه القواعد التافهة وهذا ليس إلا عصا لك تحرك مثل الأعمى إلى الطريق .

فليس لك يوما من الأيام أن تترك العصا كموسى ، وتدخل فى الوادى الأيمن . وترى هناك شجرة تقول أنا الحق ، وإذا كانت الشجرة لها الحق أن تقول — أنا الحق — فلم لا يكون هذا الحق لى .

« أنا الحق » هو كشف للسر المطلق. فمن هو يقول أنا الحق إلا الحق.

ما كان منصور الحلاج يقول أنا الحق . إنما كان الحق هو الذى يقول أنا الحق »

س : مارأى سيادتكم فى الحلاج ومحيى الدين ، والبسطامى ، والشطح الصوفى

ج : الشطح الصوفى ليس شطحاً ، الصوفى له صحو وسكر ، وكل ما يخرج منه من سكره يكون شطحاً لا يأخذ به .

وفى السكر يقول « العراقى » إن أول رحيق أراقوه فى الكأس استعاروه من عين الساقى السكرى:

ويقول شاعر آخر : « قد أسكر القوم دور كأس ، وكان سكرى من المدير »

وهى معان تذاق بالروح وبالوجدان وبالحساسية الصوفية فحسب .

إن الصوفى يتخيل أن الجمال طائر طار من شرفة العرش المعلى الإلهى ، ونزل وخفض بجناحيه إلى الأرض .

فهو حينما ينظر إلى الجمال يحسبه قدسيا إلاهيا مجرداً عن المادة وعن الغرائز ، ولذلك ينحنى عنده ، ويطغى عليه التحير والتبجيل والغيبوبة — أى السكر

والحلاج عندى صورة كاملة للصوفى وللإنسانية وحافظ الشيرازى يقول عن الحلاج على خشبة الصلب — أنا الحق — وأمثال هذه النكت لا يسأل عنها مثل الإمام الشافعى ؟

والصوفى شجاع والحلاج الصورة الكاملة للشجاعة الصوفية .

حينما أخذوا فى تقطيع جسده ، كان يأخذ دمه ويتوضأ به ، وحينما سئل ما تصنع قال : ركعتان فى العشق لا يصح وضوءهما إلا بالدم !!

أى بطولة ، وأى شجاعة ، لقد تغنوا بحوث سقراط البطولى ولكن أين موت سقراط من استشهاد الحلاج ؟

ومحى الدين أستاذ عظيم ، ولكن إذا قارناه بالحلاج .. كان محيى الدين نظرياً وكان الحلاج عملياً .

س : ماهى رسالة التصوف الإسلامى كما تراه سيادتكم .

ج : عندنا شيئان ، المذهب والمشرب والمشرب التصوفى فى عقيدتى ، أجدر وأحسن وأنفع لكل شخص .

هو مشرب الذرة ، ومشرب الحب ، ومشرب الوحدة .

هو الذى يجمع بين الطبيعة وما بعد الطبيعة ، وبين الكائنات العليا والسفلى ، والحية والغير حية ويرتفع بالشخص إلى أوج بعيد عن المضايق والعصبيات والتفرقات والتشعبات .

ويتسلح فيه الفكر والعقل بسلاح أخف وأسرع ، ويجعل من الحب والحنان مرهما لجروح التنافرات والتباغضات والاختلافات وما إلى ذلك .

ويوحد الشعوب والمذاهب ، وفى عقيدتى إذا كان يعم التصوف والفلسفة الخلقية ، وفلسفة الجمال يكون نافعاً لمجتمعاتنا الحاضرة .

س : هل نفهم من ذلك أن المشرب الصوفى غير المنهج الإسلامى ؟

ج : للاسلام خاصية ليست فى الأديان الإسلام درجات لأنه دين عام للناس كافة .

بعض الناس يعبدون الله خوفا من ناره وطمعاً فى جنته . وذلك منتهى إدراكهم وإيمانهم

وفوق ذلك درجة ، من يعمل ابتغاء وجه الله ، ثم أعلى من ذلك التخلق بأخلاق الله .

ثم هناك عبادة عليا ، عبادة مجردة ليست لها غاية ، هى عبادة التصوف . . الوظيفة لأجل الوظيفة .

ان الصوفى متخلق بالخلق الإلهى ، وكما يرزق الله عباده مثلا لا بغاية ، وإنما لأنه رزاق ، كذلك يعبد الصوفى ربه ؛ لا لغاية وانما لأن وظيفته العبادة .

الصوفى من لم ينظر الى الدنيا والآخرة ، الصوفى عاشق لوجه الله الذى لم يره . الصوفى يقول انه وقف للجمال . الجمال الأزلى . الصوفى لا يخاف شيئاً . الصوفى هو الذى يجرد نفسه لله ... الله لأجل الله .

الصوفى يعتقد أن الله فى عالم الإطلاق ، فوق الفكر والعقل والتخيل .

الصوفى يرى الوجود الواحد ، يرى كبرياء الله ، وجلال الله ، وعظمة الله فى كل شىء .

إذا سال دمعه تذكر الله الغفار ، وهكذا يذكره كل شىء بالله ، فلا يرى إلا الله .

الصوفى لا ينظر إلى شيئين ، لا ينظر إلا إلى شىء واحد ، ولا يرى إلا شيئاً واحداً .

وفى القرآن إشارات واضحة إلى التصوف. «الله نور السموات والأرض» .. «أينما تولوا فثم وجه الله» .. «هو أقرب إليكم من حبل الوريد» . «وفى أنفسكم أفلا تبصرون»

والتصوف بمعناه الفنى نراه أول ما نراه عند رابعة العدوية. تحدثت رابعة عن الحب الإلهى، وعن لذة التعرف إلى الله.

وبعد رابعة، ازداد التصوف وتكشفت آفاقه أكثر فأكثر، حتى نرى قمته عند منصور الحلاج ومحيي الدين ابن عربى.

أما أبو القاسم الجنيد فكان يجلس فى الصومعة يوما، وفى المسجد يوما آخر.

فلما دخلوا عليه بالوثيقة التى أعدت لقتل الحلاج وهو فى الصومعة، رفض إمضاء الوثيقة وقال عنها: إنها ظلم وكفر.

فلما جلس فى المسجد ختم على الوثيقة وأقرها.

وبعد قتل الحلاج قام علماء الفقه مثل ابن تيمية وابن القيم، قاموا ضد التصوف وأثاروا حوله جدلا وغباراً.

ثم كانت هزيمة الدولة الفاطمية والأخطاء التى وقعت فيها، ضربة أخرى وجهت ضد التصوف

وتوالت الأحداث فانهزم التصوف فى البلاد العربية بينما ظل قوياً سائداً فى فارس والأفغان وشمال الهند وبقية أجزاء العالم الإسلامى،

ثم جاءت الطرق لتلوين التصوف، جاءت لتضيف إليه شيئاً يخفف من الحملة التى وجهت إليه.

جاءت لتقربه من الجماهير. جاءت لتضعه فى إطار يدل على الصورة.

تلك هى قصة التصوف، ومكانة التصوف من الإسلام، إنه قمته العالية، ورسالته السامية، إنه نبع صاف لا يضيره أن اختلط حينا بالتراب، أو مازجه حيناً ما يعكر من صفائه، إنما نحن نتحدث عن جوهره.

س: هل يستطيع التصوف أن يقود الإسلام من جديد؟

ج: نعم يستطيع التصوف أن ينهض بالعالم الإسلامى، وأن يعيد إليه أمجاده.

س : ما هى نصائحكم التى توجهونها لرجال التصوف فى هذا العصر المادى

ج : أقول لهم أن يتخذوا الله سبحانه وتعالى لهم قبلة وهدفا ومثالا ومركزاً للحق والخير والجمال .

وإذا سلكوا فى أى مسلك كان المنزل المقصود الأخير . هو الوصول إلى الله سبحانه ، والاتحاد شعورياً معه تعالى ، والتخلق بأخلاقه سبحانه .

وأقول لهم : إن التصوف هو قمة الفلسفة ، التصوف هو العلم ، والعلم ضالة المؤمن من السماء والأرض وكل شىء .

وأقول لهم : الصوفى له معرفة ذاتية ، كل أوقاته يسافر فى نفسه ، وكل الكائنات فى نفسه ، هو أكبر من الكائنات .

فالصوفى يرى كل الكائنات فى نفسه ، لا حاجة له أن يتجول أو يذهب إلى القمر ، إنه يتجول فى نفسه .

يقول — بيدل — : « سرنا فى الدارين ولكن مارحنا إلى منزل كان خارجا عن نفسنا » .

ويقول الله سبحانه : « والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ، والأرض وما طحاها ، ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » .

فهذا ينص على أن كل الكائنات موجودة فى الإنسان منطوية فى الإنسان ، لأن الإنسان متكون من تلك العناصر .

ولكن هناك فى الانسان شىء ليس فى العناصر وهو النفس التى ألهمها فجورها وتقواها .

فالانسان إذن هو العالم الأكبر خلافا لافلاطون الذى قال إن الانسان هو العالم الأصغر .

الصوفى هو مركز أو مجمع البحرين ، للدين والأخلاق .

والخص رسالة التصوف فى كلمتين ، الطاعة لأمر الله ، والشفقة على خلق الله :

فإذا عرف الصوفى مكانه ، عرف رسالته ، وعرف واجباته وقام بكل هذه الحقوق التى عليه لله ولنفسه وللانسانية كافة .

س : ما هى الحكمة الصوفية التى تتمثل بها دائماً فى حياتك .

ج : لقد وصلت بعد كل دراساتى إلى حقيقة أو حكمة آمنت بها وهى : إنى من الله وإلى راجع إلى الله .

صوفيات عبر الحياة

بقلم: الدكتور
مصطفى كمال وصفى

تدبر وتأمل وتعبير :

ليس غريباً أن يكتب الصوفى مايتأمله ويتدبره عبر الحياه . فالصوفية بطبيعتهم أهل نظر وأهل تدبر وتأمل . والنظر والتدبر والتأمل منه أعلى العبادات ، ولذلك نرى الصوفية جميعاً — أعنى الصوفية الحقيقيين الأصلاء — أهل إحساس وذوق وشعور وتفكير .

وكم من آيه تمر بها النفوس المغلقة الصادئة ، فلا تحس بها ، بينما اهتزت لها نفس أخرى جياشة مرهفة الحس .

ولا تشعر النفوس المغلقة بهذه الآية إلا إذا شرحت لها الأخرى المرهفة الحساسة ماتثيره هذه الآية من مشاعر ، ونقلت إليها أفكارها وآراءها فيها بطريقة تنفذ إلى تلك النفوس . قد يكون ذلك شعراً أو نثراً بديعاً وبياناً وسجعاً وقولا مأثوراً ، وقد يكون ذلك بالتجسيم أو بالألحان أو بالتصوير أو بالحركات أو بأى وسيلة تعبيرية تجعل الذين لا يشعرون ، يشعرون .

ولكن أليس هذا عمل الفنان ؟ فهل للصوفية فنانون ؟

بهذا المعنى الواسع ، نعم . وفنهم هو الشعور بالله وتدبر آياته ومجاليه ، وطريقة تعبيرهم هى الحجة الدامغة البيان الأخاذ والثبات بالإيمان لكل شىء . . بل قد يهز الوجد فيهم شعراً منظوماً أو لحناً رائعاً فياضاً .

ولكن هل الفنانون صوفية ؟

أقول لهم استعداد كبير لذلك . ومن استقامت مرآته منهم إلى السمت الأعلى

كان صوفياً عنيفاً . ولا شك أن أخلد آيات الفنون فى كل البلاد فى التصوير والنحت والعمارة والشعر واللحن والقصة ، بل والرقص فى بعض الأديان . . كل ذلك نشأ هم المعابد ، كانعكاس لومضات العبقرية الصوفية .

إن العبقرية هى ظاهرة قوة الروح .

والعبقرية هى سرعة الإحساس الصادق ، قوة خراج ماينبىء به هذا الإحساس وكل سلفنا الصالح كان عبقرياً قوى الروح .

المتحجبة والسافرة :

مفارقة مر بها الصوفى ، واصطك بها وجدانه ؛

امرأة محجبة ، تصحبها أخرى سافرة .

المتحجبة — كما لا يخفى حجابها — عجوز دميمة ينتصب أنفها من وراء الحجاب مدبباً كمنقار الغراب ، وتنفذ من إحدى عينيها نظرات ثاقبة لا تطرف كطلقات الرصاص . وتتلفت حولها فى حركات خشبية سريعة — كحركات الدمى — لتنظر أثر جمال رفيقتها فى النفوس .

والسافرة — غادة أخاذة بهية الجمال . ضاحكة ناعمة لاهية .

قال الصوفى لنفسه :

ما أولى السافرة بالحجاب وما أجمله لو اتخذته ، وما أتفه ما تحجبه الدميمة بحجابها . .

أوكلما رأينا متحجبة كانت دميمة لا يستلزم قبحها غطاء ؟ ألا من جميلة متحجبة ؟ .

وهز الصوفى رأسه وهو يذكر مختلف ما يتحجب به ذوى الحجب ومايضيق به وتبرم منه المحتاجون للحجاب . .

ما أغنى كثيراً من الناس عما يتظاهرون به من حلم أو تواضع وتلطف ماداموا محتاجين وعاجزين ، وما أقبح ما يظهرونه من زهد وتعفف ، ما داموا محرومين مقطوعين .

«يتبع»

مبادئ إنسانيه

من هجـــرة الرسول

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى
المستشار للشئون الدينية والثقافية لوزارة الأوقاف

أذن الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة ، وذلك بعد أن ظل بمكة ثلاثة عشر عاماً يدعو جاهداً إلى الإيمان بالله الواحد الأحد ، وإلى نبذ ما كان عليه العرب من عبادة الأوثان والأصنام التى لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنهم شيئاً .

ولكنه ، مع مابذل من جهد ، ومع عرضه نفسه على القبائل ، ومع ما جاء به من قرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومع عجز البلغاء والفصحاء عن الإتيان بشىء من مثله ؛ نقول إنه مع ذلك كله لم يجد إلا الصد والإعراض ، وناله هو وأصحابه شر كثير وبلاء كبير من قومه .

ومن البديهى أنه كان فى قدرة الله الذى لا يغلب ، وإرادته التى لا ترد ، أن ينصر دينه الذى ارتضاه للناس جميعاً ، ورسوله الذى جعله حامل خاتمة رسالاته للبشرية ، وأهله الذين آمنوا به من أول الأمر ، وأن يعزهم ويعلى كلمتهم وهم فى وطنهم الحبيب إلى قلوبهم ونفوسهم ؛ هذا الوطن الذى اضطروا للخروج منه فراراً بعقيدتهم ودينهم ، مضحين فى سبيل ذلك بالمال والولد وكل عزيز عليهم أثير لديهم .

كان ذلك فى قدرة الله الذى لا يعجزه شىء فى السموات والأرض ، ولكنه

— وهو العليم الحكيم — أراد لرسوله والمؤمنين معه هـذه الهجرة من مكة إلى المدينة ، وأن يستبدلوا بوطن حبيب وطناً آخر صار مهد عزهم وسيادتهم ومجدهم وسعادتهم .

وكان هذا لنتخذ من هذه الهجرة المباركة مبادىء لها أثرها الخطير علينا ، أفراداً وجماعات فى كل زمان ، وهذه المبادىء الإنسانية هى التى نعرض لبعضها فى هذه الكلمة الموجزة ، لعل فى ذلك عبرة وذكرى لقوم يعلمون .

كان همّ الرسول صلى الله عليه وسلم أن تنتشر الدعوة إلى الاسلام بين الناس جميعاً ، وأن يجد القلوب متفتحة لرسالته ، وأن يجد من أولى القوة والمنعة ما يهيىء لهذا الدين الظهور وعلو الكلمة . ولكنه بعد أن أقام بمكة ثلاثة عشر عاما تلفت حوله فماذا رأى ؟ .

وجد الدعوة وقفت أو كادت بسبب ما قام حولها من عقبات وسدود من كل ناحية ، ورأى أصحابه القلائل ما بين مفتون فى دينه ونفسه وأهله ، أو شريداً بعيداً عن بلده الحبيب إلى نفسه . أو مقيماً على أحر من الجمر يتوقع الفتنة فى كل آن .

فكان لابد من التفكير فى الأمر ، ومن الانتقال بالدعوة للدين الجديد إلى بلد آخر يجد فيه ملاذا لأصحابه ، وأنصارا لدعوته ، وعونا على نشر رسالته التى شرفه الله بها .

ومع هذا ، فقد أحس أن المقام بمكة لم يعد من الحزم ولا من الرأى الرشيد والشاعر يقول : وإذا نبا بك منزل فتحول ، كما يقول الآخر :

وإن كمال الرأى والحزم لامرىء إذا بلغته الشمس أن يتحولا

وبجانب هذا وذاك ، فقد أرى الله رسوله دار هجرته فى منامه ، وأنها أرض ذات نخيل ؛ ولهذا استبشر بهذه الرؤيا وبشر بها أصحابه ، حتى إذا أذن الله بها ترك مكة إلى المدينة فعلا ، وجعلها موطن الاسلام وعاصمة الدولة الاسلامية .

وحادث الهجرة نفسه ، وما تلاه من إقامة المجتمع الاسلامى بالمدينة على أسس خاصة لم يكن يعرفها العرب — بل الإنسانية عامة — من قبل ، يمدنا

بكثير من المبادىء الانسانية النبيلة الرائعة ، هذه المبادىء التى نشير إلى بعضها الآن .

١ — انه صلى الله عليه وسلم قد أرانا بهجرته ، مع ما كان فيها وفى سبيلها من مشاق وآلام ، أنه لا يقيم على ضيم يراد به إلا الذليل ، وأن الهجرة فى سبيل الدين والحق فى طريق النصر ، وأن الأخذ بالأسباب مع كمال الثقة بالله القوى العزيز هو أكبر طرق النجاح والفوز وأقربها ، وأن من يرضى بالهوان لنفسه ودينه يظلم نفسه ويبوء بسخط الله تعالى .

وفى هذا جاء فى القرآن الكريم : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ! فأولئك مأواهم جهنم ، وساءت مصيرا » .

٢ — ونجد بعد هذا مبدأ وجوب التضحية بالمال والنفس فى هذه السبيل النبيلة ، سبيل الدين والانتصار له ؛ فهذا سيدنا على رضى الله عنه يقبل راضياً مسرورا أن يبيت فى فراش الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة ، وهو يعلم أنه سيكون قاب قوسين أو أدنى من الموت ، بل أنه سيقابل الموت عيانا ؛ ولكن ما قيمة حياته وهو يوقن أنه بهذا الصنيع يكون سبباً لفشل مؤامرة قريش الظالمة ولنجاة الرسول عليه الصلاة والسلام ! .

وهذا سيدنا الصديق أبو بكر ، رضى الله عنه وأرضاه ، يطير فرحاً بصحبة الرسول المصطفى ، ويعد كل ما يلزم للهجرة وبلوغ دار الأمن ، ويخرج معه بماله كله ، وكان خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف ؛ وما عليه أن يضحى بذلك والله لن يضيعه أبدا ، وإن ظن أبوه — كما يذكر هشام فى سيرته — أنه جمع أهله بماله مع نفسه ! .

٣ — وهناك بعد ذلك كله ما قدره الرسول من « الأخوة الدينية » بين المسلمين جميعاً ، وهو ما لم يكن المجتمع العربى ، بل لم تكن الانسانية عامة ، يعرفه قبل الاسلام ؛ فقد كان العرب يترابطون فيما بينهم برابطة القبيلة والدم ، ولكن الرسول آخى بين المهاجرين والأنصار بعد أن صاروا بالمدينة ، فأصبح المسلم أخا للمسلم فى كل مكان وزمان ، ولذلك كان الأنصارى يشاطر أخاه المهاجر داره وماله ، وهو بهذا الإيثار مطمئن القلب فرح النفس قرير العين .

وبهذا ضرب الأنصار للبشرية كلها مثلا رائعاً فى الأخوة والإيثار ، وهو مثل معدوم النظير فى تاريخ البشرية كلها . وفى هذا يقول الله تعالى : « والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

٤ — وهناك بعد صلة الأخوة الدينية التى تؤلف بين المسلمين جميعاً ، صلة أقوى أعم منها ، وهى صلة « الانسانية » التى قرر لها الرسول وجلا لها ، والتى تجمع بين المسلمين وغيرهم ، وذلك لأنهم جميعاً أبناء أب واحد هو سيدنا آدم عليه السلام ، وفى هذا يفتتح الله تعالى سورة النساء بقوله : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة » الآية .

ولهذا كتب الرسول وقد استقر بدار هجرته كتابا وادع فيه اليهود ، وأباح لهم حرية العقيدة والاقامة ؛ وضمن لهم فيه حرمة المال والنفس والجوار ، ودعاهم إلى التعاون فى الخير ، والتكافل فى دفع الظلم والشر ؛ ولكن اليهود قوم لا يعرفون حرمة لعهد أو ميثاق ! .

* * *

تلك بعض المبادىء الانسانية الرائعة النبيلة التى نأخذها من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومنها نعلم حرصه على إقامة المجتمع العربى الاسلامى على أصول راسخة من الأخوة والمحبة والتعاون ، ومن المساواة والعدل بين الجميع ، والتضحية فى سبيل الدين والوطن ، إلى غير ذلك من المبادىء والأصول الانسانية التى يسعد بها الافراد والجماعات والامم على اختلافها ، والتى طبقها المسلمون فعلا وما يزالون حريصين على العمل بها فى كل زمان ومكان .

ابن حزم يرفض التقليد

للدكتور عبد العزيز الاهوانى

وكيل وزارة الثقافه والإرشاد المركزية

ابو محمد بن حزم فقيه قرطبي عاش فى القرن الخامس الهجرى . ولقد كانت حياته كحياة وطنه الأندلسى سلسله متصلة من العواصف والزلازل والمحن ، لقد شارك الفقية فى الحياة العامة فى عصره مشاركة إيجابية ، ولم يقف منها موقف المتفرج اللاهى . كانت له آراءوه السياسية ، وكانت له ولأسرته صلات بالبيت الأموى الحاكم الذى سقط فى أيامه ، مما جعله يخوض فى الخلافات السياسيه ، وينضم إلى أحزاب ويعادى طوائف تقتتل فى سبيل الملك . وقد عرضه ذلك كله مرات للنفى والأسر والسجن .

ثم إذا بابن حزم ينصرف عن السياسة انصرافا تاما ، ويزهد فيها زهدا كاملا ، وينفض يديه من شئونها ، لاعن خشية ورهبة ، ولاعن إيثار للعافية والسلامة ، ولكن فقد الثقة فى أهل السياسة ، ووجد أن لا سبيل للتوفيق بين عقيدته وأعمالهم ، ثم لأنه من جانب آخر وجد أن استعداده ينزع به إلى ميدان جديد هو أسمى وأبقى وهو أولى بنشاطه وكفاحه . ذلك هو ميدان العلم ، وعلم الدين على وجه التحديد . ولكن روح النضال وخوض المعارك لم تفارق عقل ابن حزم ولاقلبه ، فتهيأ لمعركة عقلية عنيفة واجه بها فقهاء عصره فصك بها اسماعهم وأثار حقدهم وضغائنهم عليه ، وأصبح معهم فى نضال لا يقل حدة وقسوة عن نضاله السابق فى ميدان السياسة .

وجد ابن حزم فقهاء عصره فى الأندلس يتبعون المذهب المالكى ، ويتخذون من مالك بن أنس وتلامذته حجتهم الأولى فيما يصدرون من أحكام ، ويفصلون فيه من قضايا ويرسلون من فتاوى ، ووجد فى الأندلس بجانب هؤلاء فريقا قليل العدد يتمذهب بالشافعية ويدافعون عن مذهب صاحبهم ويختلفون والمالكية

ثم مد بصره إلى العالم الإسلامى كله فوجد للفقه مذاهب أخرى بين سنة وشيعة وخوارج يلتزم أصحابها أحكام أئمتهم ويسلمون بها ولا يقبلون الجدل فيها ويتعصبون لها.

واجتاز ابن حزم حين شاهد ذلك فترة من التردد والقلق ، فترك المذهب المالكى إلى المذهب الشافعى ردحا من الزمن ، ولكنه عاد فنفض يده من المذهب الشافعى . وأخذ يلتمس له طريقا جديدا . وهو خلال هذا عاكف على الدراسة والمطالعة والتفكير ولقاء العلماء ورواية الأحاديث والتفتيش فى الكتب . وكان ابن حزم أثناء ذلك يتصور أن هذه الخلافات المذهبية ما كان ينبغى أن توجد فى أمة تجتمع على كتاب واحد ونبى واحد . وانتهى به تفكيره إلى أن مصدر هذا الخلاف هو الاتباع والتقليد والتزام كل فريق لرأى إمام المذهب ، ولو أنهم رجعوا إلى كتاب الله وإلى ماصح من سنة الرسول وما عرف من إجماع الصحابة رجوعا مباشرا وحكموا عقولهم فى ذلك لاستقاموا على الطريقة واهتدوا إلى الحق تلك هى المهمة التى وهب ابن حزم نفسه لها عن طواعية واختيار .

ومن الحق أن نقول ان ابن حزم لم يكن سابقا فى هذا الطريق ، فلقد ظهرت من قبل فى المشرق مدرسة أبى سليمان داود بن على الاصبهانى تدعو إلى هذا الرأى وتقف من المذاهب هذا الموقف ، وعرف اصحاب هذه المدرسة باسم (الظاهرية) وكان لهم أنصار فى المشرق والمغرب ، ولكنهم ظلوا أنصارا قلائل على اختلاف البلاد والعصور . ومع ذلك فلم تظفر هذه المدرسة بمثل ابن حزم فى جلده وصرامته وطول عكوفه ودراسته .

وطن ابن حزم نفسه على الشدة وقطع رجاءه من ولاية القضاء وبلوغ المناصب الرفيعة ، وعكف على التدريس يدعو فيه لرأيه ، فلما حيل بينه وبين مجلس التدريس فى المساجد لمعارضة خصومه له وقوة نفوذهم فى الدولة أوى إلى قرية فى غرب الأندلس . ويذكر ابن حيان المؤرخ المعاصر له ما كان يفعله ابن حزم هناك فيقول « يبث علمه فيمن ينتابه ببادية تلك ، من عامة المقتبسين منه من أصاغر الطلبة الذين لا يخشون فيه الملامة ، يحدثهم ويفقههم ويدارسهم ، ولا يدع المثابرة على العلم والمواظبة على التأليف والإكثار من التصنيف ، حتى كمل من مصنفاته فى فنون العلم وقر بعير ، لم يعد أكثرها عتبة بابه ، لتزهيد الفقهاء طلاب العلم فيها » .

ومع هذا الحصار والعزلة التى تشبه النفى خرجت كتب بن حزم إلى مدن الأندلس ، فغاظ ذلك فقهاء عصره فحرقت بتحريضهم نسخ من كتبه فى إشبيلية على مرأى من الناس ، فكان جواب بن حزم عليهم هذة الأبيات

فإن تحرقوا القرطاس لاتحرقوا الذى ... تضمنه القرطاس بل هو فى صدرى
يسير معى حيث استقلت ركائبى ... وينزل إن أنزل ويدفن فى قبرى
دعونى من إحراف رق وكاغد ... وقولوا بعلم كى يرى الناس من يدرى
وإلا فعودوا فى المكاتب بدأة ... فكم دون ما تبغون لله من ستر

* * *

لقد كانت الدلائل تشير إلى أن بن حزم سوف يمضى فى حياته على غير الطريق الذى مضى فيه . فقد نشأ فى النعمة والترف ، ولقد ذكر الفقيه أبو الوليد الباجى فى مناظرة له معه بعد إذ صار بن حزم من العلم إلى ما صار إليه « أنا أعظم منك همة فى طلب العلم ، لأنك طلبته وأنت تعان عليه تسهر بمشكاة المذهب ، وطلبته وأنا أسهر بقنديل بائت فى السوق » فأجابه بن حزم « هذا الكلام عليك لا لك لأنك إنما طلبت العلم وأنت فى تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالى ، وأنا طلبته فى حين ما تعلمه وما ذكرته فلم أرج به إلا علو القدر العلى فى الدنيا والآخرة »

وأعجب من هذا أن ابن حزم لم يبدأ حياته العلمية وعكوفة الجدى على الدرس إلا بعد الخامسة والعشرين حسبما قص ذلك وروى عنه أنه وهو فى تلك السن قد تعرض للحرج مرات فى المجالس والمساجد لجهله بأوليات الدين التى يعرفها من هم دون سنه . ولكنها العزيمة والإرادة والأخلاص تمكن صاحبها من استدراك ما فات ومن التفوق على الأقران والأصحاب .

* * *

لم يكتف ابن حزم بالدفاع عن فكرته من الناحية النظرية والكتابة عن مبادىء مذهبه وأصوله ومناقضة آراء خصومه ومناقشتهم ونقض حججهم ، ولو اقتصر على ذلك لكفاه ، فقد ألف فى هذا المضمار كتباً كثيرة ، وصل لنا منها كتابه الكبير (الإحكام فى أصول الأحكام) فضلا عن رسائله فى هذا الصدد . ولكنه تجاوز هذا إلى تأليف الكتب الضخمة الموسعة ، يعرض فيها الأحكام الشرعية على أبواب الفقة جميعها ، عبادات ومعاملات ، مستمدا

أحكامه من الكتاب والسنه واجتهاده راويا الأحاديث مدليا ببراهينه ، لتكون تلك الكتب تطبيقاً للمنهج وتحقيقاً للرأى ، وقد وصل إلينا من هذا النوع كتابه الضخم (المحلى) .

* * *

وبعد ، فمن حقنا أن نسأل ماذا كانت ثمرة هذا الجهاد الطويل العنيف وماذا كان مصير مذهبه الذى وقف حياته للدفاع عنه ، وما الذى أحدثه من أثر فى حياة المسلمين بكتبه ورسائله ومحاضراته ومناقشاته وصبره الطويل واحتماله للأذى وخصوماته الطويلة مع فقهاء عصره من أهل الأندلس ؟ .

نستطيع أن نذكر آثارا مباشرة فى هذا السبيل ، فنعد قائمة بأسماء كثير من تلامذته الذين صاروا علماء يحملون مذهبه وينشرون أفكاره فى الشرق والغرب . وليس من شك فى أن هذا نصرا يصبو إليه كل عالم صاحب رأى ويتمنى لو وجد له تلاميذ يحملون رأيه ويقتنعون به . ونحن أيضاً نستطيع أن نذكر من آثاره أن دولة من دول المغرب ظهرت بعد نصف قرن من وفاة ابن حزم تقريبا هى دولة الموحدين قدرت ابن حزم وأخذت بمذهبه فحرقت كتب الفروع وحاولت رد الناس إلى الكتاب والسنة وحدهما وكرهت التقليد ، فكادت بذلك تلغى المذهب المالكى من الناحية الرسمية فى الأندلس والمغرب . وهذا نصر مبين لصاحب المحلى والاحكام ولكنما النصر فى هذين الميدانين محدود فلم يزل أصحاب المذاهب قائمين ولم يزل التقليد قائماً .

وإنما العبرة التى تستخلص من حياة ابن حزم وأعماله والتى ستظل ماثلة أمام الأجيال هى فى المثل الحى الذى ضربه ابن حزم لعلماء المسلمين فى كل عصر — مهما اختلفوا فى الحكم عليه ومهما عارضوه — وهو ما يجب على العالم من الإيمان بفكرته والاخلاص لرأيه والاستماتة فى الدفاع عنه ، والعمل الدائب المتصل المرهق فى سبيله والشجاعة فى إعلانه .

هذا هو المعنى الرائع لحياة ابن حزم ، ومع ذلك فستظل كتب ابن حزم موردا نافعاً لخصومه وأنصاره على السواء لما اشتملت عليه من علم وفوائد ...

رحم الله أبا محمد بن حزم ، لقد عاش مناضلا فى سبيل ما اعتقده الحق .

عبد العزيز الأهوانى

حديث فى التصوف

للأستاذ حسن كامل الملطاوى

وكيل وزارة الخزانة

— ٤ —

كيف تختار أستاذك المربى :

بينا فيما تقدم أن المؤمن لابد له من رائد يربيه فى سلوكه إلى الله ويريه عيوب نفسه ورعوناتها ويلقنه روحا وعلما وعملا الآداب الإسلامية الصحيحة الموروثة عن حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم . وكما تعلم الإنسان علومه المدنية على أساتذة ، يجب أن يأخذ دينه علما وعملا من مرب ناضج ذى روح عالية وبصيرة نافذة . وصفة هذا المربى بينها ابن الجوزى فقال « هو ذلك الذى يربيه الحق من صغره فتراه فى الطفولة منعزلا عن الصبيان كأنه الشيخ ينبو عن الرذائل ويفزع من النقائص ثم لا تزال شجرة همته تعلو حتى يرى ثمرها متهدلا على أغصان الشباب فهو حريص على العلم منكمش على العمل ساع فى طلب الفضائل خائف من النقائص ولو رأيت التوفيق والإلهام الربانى كيف يأخذ بيده إن عثر ويمنعه من الخطأ إن هم ويستخدمه فى الفضائل ويستر عمله حتى لا يراه منه فلو تصورت النبوة تكتسب لدخلت فى كسبه » .

وأنتم ترون من هذا أن الأستاذ لا يتأتى إرشاده النافع إلا باستعداد فطرى فيه وبعناية إلهية تواتيه فيختصه الله بفضله ويجعله ميسراً لما خلق له من توجيه الخلق إلى الحق بالعلم والعمل وسطوة النور الروحى الذى يمشى به فى الناس .

وقد شرط العارفون أن يتوافر له ذوق صريح وعلم صحيح وهمة عالية وحالة مرضية وبصيرة نافذة . وقالوا أن من العلامات الدالة عليه السخاء وحسن الخلق والشفقة على خلق الله وعدم الانكباب على جمع الدنيا ومجانبة الدعوى وعدم الشكوى من ضيق العيش أو إعراض الناس وانكسار قلبه مع الله وظهور البركة

والصلاح فى أتباعه كما قالوا ليس من لازمته الكرامات ولا الأخبار بالغيب .

وقد يقول قائل وكيف لى أن أقف على حياة الأستاذ وأنا أصغر منه سنا والجواب سهل فانه فى الوسع أن يقتدى الصغير فى اختيار أستاذه بمن هم أكبر منه سنا من ذوى الرشد والصدق فى الدين فانهم لا يتخذون إمامهم إلا بعد التثبت من أنه أهل لإرشادهم فى سلوكهم إلى الله .

وقد قال أبو على الثقفى الصوفى ، لو أن رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لايبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام مؤدب ناصح ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه لايجوز الاقتداء به فى تصحيح المعاملات .

وكثيراً ما اعترض المعترضون على بعض أئمة التصوف ثم اتصلوا بهم فوجدوا فى صحبتهم الخير كل الخير .

أثر التربية الصوفية فى نفسى :

أتحدث بنعمة الله وأقول أن التربية الصوفية زادتنى إيماناً بالله وثقة فيه وتوكلا عليه وشوقا إليه ورضاء بقضائه وتسليما له كما وثقت صلتى الروحية برسول الله صلى الله عليه وسلم وقوت يقينى بأنه صلوات الله وسلامه منة الله علينا والرحمة المهداة إلينا ، هذا من حيث الأجمال ، أما من حيث التفصيل فأمر يطول به الشرح فضلا عن أن ما وجدته من مذاقات وجدانية لايمكن التعبير عنه بمقال ولكنى أنوه لكم بأثر عميق فى حياتى لحكمة بالغة جاءتنى فى رسالة كريمة بعث بها إلى أستاذى العارف بالله ولى الله سيدى عبد السلام الحلوانى طيب الله ثراه قال فيها رضى الله عنه « أما عن الدنيا وما فيها ومن فيها فدعها بما فيها لمن يدبرها فيوفيها وفيها مافيها ، لأنك إن دبرت وصح التدبير وهو مطلوب شرعا فلا تدرى كيف قضى فيه فإن صح القضاء بالرضاء ، وإن صح الجفاء سألناه اللطف فى القضاء مع الرضاء على أنه الرضاء » .

وإنى كبشر أتعرض لما يتعرض له سائر الناس من تقلب فى الأحوال ومنها ما تكرهه النفس أو يضيق به الصدر وإنى كلما عرض لى ما أكرهه أو أضيق به .

تردنى هذه الحكمة إلى الرضا والتسليم فأرتاح فى قرارة نفسى ، وكثيراً ما دعوت لأستاذى الذى هدانى للحق ببصيرته وسكن اضطرابى بحكمته .

وقد وجدت من أثر الذكر خيراً كثيراً فاهتديت إلى أجوبة فى مقامات دقيقة بطريق الإلهام ووعظنى واعظ الله فى قلبى عند القلق ومن أمثلة ذلك :

(ا) كنت أتكلم يوما فى درس بالقرية عما خص به حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم فكان مما قلت أنه كانت تظله الغمامة فاعترضنى بعض أهل العلم وقال لم تكن هذه خصوصية له صلى الله عليه وسلم بل هى عامة للمرسلين صلوات الله عليهم فقلت هذا ما وقفت عليه فى سيرته فإذا كان لك سند من علم فإنى أقبله على عينى ورأسى ثم سكتنا فوقع فى قلبى ، إذا لم تكن خصوصية فلماذا حكى الله عن موسى عليه السلام فقال « فسقى لهما ثم تولى إلى الظل » فكتمت الخاطر حتى فرغ الدرس وصلينا ثم كاشفته بهذا الجواب بعد خروجنا من المسجد فيما بينى وبينه فسكت ولم يجادل .

(ب) كانت نفسى ثائرة يوما لعـــدم ترقيتى إلى الدرجة الرابعة فقصدت إلى أستاذى وسيدى السيد / عبد السلام الحلوانى لأنفس به عن ضيق نفسى وحرج صدرى فركبت الترام وما أن وصل إلى منتصف الطريق حتى وعظنى واعظ الله فى قلبى . دهده انت حاتحمل زى اللى بيقول عنهم ربنا « ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين » . فأسرعت باستغفار ربى مما وقع منى وسألته التوبة والعفو وعندما لقيت أستاذى عليه الرضا والرضوان بلغته ماجرى فابتسم رضى الله عنه وقال لى دى خواطر القرآن عظيمة جدا .

وإنما قصدت بهذه الأمثلة أن أربط على قلوب المؤمنين وأزيل ماقد يعتريهم من شك فى السلوك الصوفى .

ومن طريف ما اطلعت عليه فى هذه المناسبة ما وقع لسيدى ابن عطاء الله السكندرى وكان رضى الله عنه من كبار علماء الشريعة وكان يعترض فى بداية أمره على سيدى المرسى أبى العباس الإمام الصوفى المعروف فرجاه شاب من أتباع الإمام المرسى أن يجتمع به ويستمع إليه ثم يحكم له أو عليه فأجابه إلى رجائه

فذهب إلى حلقة الإمام المرسى رضى الله عنه فوجده يتكلم مع مريديه فى مدارج السلوك إلى الله ويقول لهم :

أنفاس الشرع إسلام فإيمان فإحسان وإن شئت قلت شريعة فحقيقة فتحقق وإن شئت قلت عبادة فعبودية فمعبوده .

قال ابن عطاء الله فما زال الشيخ يقول وإن شئت وإن شئت وإن شئت حتى بهر عقلى وأيقنت أنه يغرف من فيض إلهى .

وقال فقمت من عنده وبى غم ثم عدت له ثانيـــة فتلقانى بترحاب فقلت له إنى والله أحبك قال أحبك الله كما أحببتنى كيف تجدك ، قلت أجد بى هما فنظر إلى وقال : أحوال العبد أربعة لاخامس لها ـ النعمة والبلية ، والطاعة والمعصية ، فإن كنت فى النعمة فمقتضى الحق منك الشكر ، وإن كنت فى البلية فمقتضى الحق منك الصبر ، وإن كنت فى الطاعة فمقتضى الحق منك شهود منته عليك فيها ، وإن كنت فى المعصية فمقتضى الحق منك وجوب الاستغفار ، قال فقمت من عنده وكأن الهم ثوب نزعته فعدت له ثالثة فقال لى كيف تجدك فقلت أجد كأن الهم ثوب نزعته فقال لى الزم فوالله لئن لزمت لتكونن مفتيا فى المذهبين ، ثم قال يخاطب الله :

ليـــلى بوجهك مشرق وظلامه فى النـاس سـارى

وقد تحقق ذلك فصار ابن عطاء الله إماما جليلا من أئمة التصوف الذين أنجبتهم الطريقة الشاذلية ـــ وحكمه الصوفية أشهر من أن تعرف .

أرأيتم بعد ذلك سادتى مما قلت أن التصوف هو السعى إلى مقام الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وهو مقام الذين يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون .

وأنه علم راسخ وعمل شامخ ومذاق نافخ .

وأنه علم بالحدود وبذل للمجهود وأنس بالموجود .

وأنه الفرار إلى الله مع الفارين إليه .

ارلئك حزب الله إلا أن حزب الله هم المفلحون .

حالا الفناء والبقاء

عند الصوفية

بقلم الأستاذ
أبو الوفا التفتازانى

حالا الفناء والبقاء من الأحوال الواردة على السالكين لطريق الله عز وجل من الصوفية .

وقد اختلف الصوفية فى معانى الفناء والبقاء ، واختلافهم فيها راجع إلى اختلاف أذواقهم ومشاربهم ، فيذكر القشيرى فى رسالته أن من القوم من أشار بالفناء إلى سقوط الأوصاف المذمومة بالعبد ، وأشار بالبقاء إلى قيام الأوصاف المحمودة به وإذا كان العبد لا يخلو عن أحد هذين القسمين فمن المعلوم أنه إذا لم يكن أحد القسمين كان القسم الآخر لا محالة ، فمن فنى عن أوصافه المذمومة ظهرت عليه الصفات المحمودة ، ومن غلبت عليه الخصال المذمومة استترت عنه الصفات المحمودة .

وقد شرح القشيرى فى رسالته هذا المعنى الأخلاقى للفناء ، فقال : « فمن ترك مذموم أفعاله بلسان الشريعة يقال أنه فنى عن شهواته ، فإذا فنى عن شهواته بقى بنيته وإخلاصه فى عبوديته . ومن زهد فى دنياه بقلبه يقال فنى عن رغبة ، فإذا فنى عن رغبته فيها بقى بصدق إنابته . ومن عالج أخلاقه فنفى عن قلبه ما يلى :

الحسد والحقد والبخل والشح والغضب والكبر وأمثال هذا من رعونات النفس يقال : فنى عن سوء الخلق بقى بالفتوة والصدق . ومن شاهد جريان القدرة فى تصاريف الأحكام يقال : فنى عن حسبان الحدثان من الخلق . فإذا فنى عن توهم الآثار من الأغيار بقى بصفات الحق .

« ومن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عيناً ولا

أثراً ولا رسماً ولا طللا يقال أنه فنى عن الخلق وبقى بالحق . ففناء العبد عن أفعاله الذميمة وأحواله الخسيسة بعدم هذه الأفعال ، وفناؤه عن نفسه وعن الخلق بزوال إحساسه بنفسه وبهم .

« فإذا فنى عن الأفعال والأخلاق والأحوال ، فلا يجوز أن يكون مافنى عنه من ذلك موجوداً . وإذا قيل فنى عن نفسه وعن الخلق فنفسه موجودة والخلق موجودين ، ولكنه غافل عن نفسه وعن الخلق أجمعين ، غير محس بنفسه وبالخلق »

وقد عاب بعض خصوم الصوفية عليهم حال الفناء ، على اعتبار أنهم يغيبون فيه عن أنفسهم وعن الناس ، ولكن الصوفية معذورون فى هذا الحال العارض الذى لا إرادة لهم فيه ، والذى لا يلبث أن يزول ، ويتحقق الصوفى بعده بالبقاء ، ولنستمع إلى القشيرى مدافعاً عن تحقق الصوفية بالفناء قائلا : « وقد ترى الرجل يدخل على ذى سلطان أو محتشم فيذهل عن نفسه وعن أهل مجلسه هيبة . وربما يذهل عن ذلك المحتشم ، حتى إذا سئل بعد خروجه من عند أهل مجلسه ... لم يمكنه الإخبار عن شىء . قال الله تعالى : « فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن » ، لم يجدن عند البقاء يوسف عليه السلام على الوهلة ألم قطع الأيدى وهن أضعف، وقلن ما هذا بشراً ، ولقد كان بشراً ، وقلن إن هذا إلا ملك كريم ولم يكن ملكا . فهذا تغافل مخلوق عن أحواله عند لقاء مخلوق ، فماظنك بمن تكاشف بشهود الحق سبحانه ، فلو تغافل عن إحساسه بنفسه وأبناء جنسه فأى أعجوبة فيه ؟ ! » .

وقد تحدث الشاذلية من الصوفية فى الفناء والبقاء وتعمقوا فى فهم معانيهما ، ومنهم ابن عطاء الله السكندرى .

فالفناء عند ابن عطاء الله عبارة عن حالة وجدانية لايشعر فيها السالك بشىء من جوارحه الظاهرة، ولا الأشياء الخارجة عنه ، ولا العوارض الباطنة فيه ، بل يغيب عن جميع ذلك ذاهباً إلى ربه أولا ثم ذاهباً فيه مرة أخرى.

فإذا خطر للمتحقق بالفناء أنه فنى عن نفسه بالكلية ، فذلك شوب وكدره ، والكمال فى أن يفنى عن نفسه وعن الفناء ، فالفناء عن الفناء غاية الفناء .

ويحصل الفناء للسالك نتيجة تعلقه

المستمر بالذات الإلهية وحصر شعوره في اتجاه واحد بعينه مدة طويلة، ويكون ذلك في الخلوة نتيجة الذكر.

وحينما يقرر ابن عطاء الله أن المتحقق بالفناء غائب عن إحساسه بنفسه وبالعالم الخارجي فإنه يختلف عن السهروردي البغدادي الذي لا يرى الغيبة عن الحس شرطاً للفناء، على نحو ما يستفاد من قوله: «وليس من ضرورة الفناء أن يغيب إحساسه (أي السالك)، وقد يتفق غيبة الإحساس لبعض الأشخاص، وليس ذلك من ضرورة الفناء على الإطلاق...»

ويبين لنا ابن عطاء الله أن هناك فناءات ثلاث: أن يفنى الله السالك عن أفعاله بأفعاله، وعن أوصافه بأوصافه، وعن ذاته بذاته.

فأما فناء السالك عن أفعاله بأفعال الله فيعني فنـــاء السالك عن إرادته وتدبيره مع الله، فيسلب الله عن العبد إرادته وتدبيره، فلا يرى السالك لنفسه ولا لغيره فعلا إلا بالحق. وأما فناء السالك عن أوصافه بأوصاف الله فهو أن يكاشف السالك بأوصاف الله فيتحلى حينئذ بأوصاف الله على قدر طاقته. أما فناء السالك عن ذاته بذات الله فهو أن يكاشف السالك بعظمة السالك، فيستولي شهود الحق على باطنه، ويغلب كون الحق على كونه، فلا يعود يشعر بذاته.

فإذا فنى السالك للطريق عن أفعاله وأوصافه وذاته على النحو المشار إليه، أبقاه الله به، ومن ثم يكون حال الفناء تمهداً لحال البقاء، ويكون الفناء على حد تعبير ابن عطاء الله «دهليز البقاء ومنه يدخل إليه»، ويكون أيضاً «من صدق فناؤه صدق بقاؤه».

والبقاء عن ابن عطاء الله أكمل من حال الفناء من حيث أن السالك لا يغيب فيه عن إحساسه بنفسه وبالعالم الخارجي كما هو الشأن في حال الفناء، وإنما يحس فيه السالك بنفسه وبالعالم الخارجي وبحضوره مع الله في كل وقت وفي كل شيء، وإلى الفرق بين حالي الفناء والبقاء يشير ابن عطاء الله بقوله «الفناء يوجب عذرهم (أي الصوفيه) والبقاء يوجب نصرهم، الفناء يوجب غيبتهم عن كل شيء، والبقاء يحضرهم مع الله تعالى في كل شيء، فلا ينقطعون عنه في شيء، الفنـاء يميتهم والبقاء يحييهم...»

وهو يقول أيضا عن الفرق بين

الفناء والبقاء . . فصاحب الفناء له التلقى من الله، وصاحب البقاء له الالقاء عنه ، وصاحب الفناء قد طمست دائرة حسه ، وانفتحت حضرة قدسه ، وصاحب البقاء فى حضرة قدسه وحسه وصاحب الفناء مدعو إلى الله ، وصاحب البقاء داع إلى الله » .

والسالك كما يرى ابن عطاء الله لا إرادة له ولا تدبير فى فنائه أو بقائه ، فهما حالان واردان عليه من الله بمحض مشيئة الله ، وإلى ذلك الإشارة بقوله : « ... إذا شاء (الله) أبقاه (أى السالك) فى بحر الفناء غريقا ، وإن شاء أرجعه إلى ساحل البقاء تحققا وتحقيقا . . . » .

أبو الوفا الغنيمى التفتازانى

لجنة نشر الأصول الصوفية

تصدر

كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف

للعلامة الكلاباذى

نشرت مكتبة عيسى البابى الحلبى هذا الكتاب الصوفى العظيم الذى قال عنه علماء التصوف «لولا التعرف لم يعرف التصوف» .

وقد قام بتحقيقه والتقديم والترجمة لأعلامه له الأستاذان الكبيران الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقى سرور .

يطلب من الناشر ومن المكتبات الشهيرة

من روائع تراثنا القديم

الامام ابن القيم

يتحدث عن النفس البشرية

هل النفس واحدة أم ثلاث ؟

وقع فى كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاث نفس ، نفس مطمئنة ، ونفس لوامة ، ونفس أمارة .

وأن منهم من تغلب عليه هذه ، ومنهم من تغلب عليه الأخرى ، ويحتجون على ذلك بقوله تعالى (يا أيتها النفس المطمئنة) وبقوله تعالى (لا أقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة) وبقوله تعالى (إن النفس لأمارة بالسوء) .

والتحقيق أنها نفس واحدة ، ولكن لها صفات ، فتسمى باعتبار كل صفة باسم . فتسمى مطمئنة باعتبار طمأنينتها إلى ربها بعبوديته ومحبته والأنابة إليه والتوكل عليه والرضا به والسكون إليه . فإن سمة محبته وخوفه ورجائه منها قطع النظر عن محبة غيره وخوفه ورجائه . فيستغنى بمحبته عن حب ما سواه ، وبذكره عن ذكر ما سواه ، وبالشوق إليه وإلى لقائه عن الشوق إلى ما سواه .

فالطمأنينة إلى الله سبحانه حقيقة ، ترد منه سبحانه على قلب عبده تجمعه عليه ، وترد قلبه الشاء اليه ، حتى كأنه جالس بين يديه ، يسمع به ويبصر به ويتحرك به ويبطش به .

فتسرى تلك الطمأنينة فى نفسه وقلبه ومفاصله وقواه الظاهرة والباطنة ، تجذب روحه إلى الله ، ويلين جلده وقلبه ومفاصله إلى خدمته والتقرب إليه .

ولا يمكن حصول الطمأنينة الحقيقية إلا بالله ، وبذكره وهو كلامه الذى أنزله على رسوله .

كما قال تعالى (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

فإن طمأنينة القلب سكونه واستقراره بزوال القلق والانزعاج والاضطراب عنه.

وهذا لا يتأتى بشيء سوى الله تعالى وذكره البتة .

وأما ما عداه فالطمأنينة إليه غرور ، والثقة به عجز .

قضى الله سبحانه وتعالى قضاء لا مرد له ، أن من اطمأن إلى شيء سواه أتاه القلق والانزعاج والاضطراب من جهته كائناً من كان .

بل لو اطمأن العبد إلى علمه وحاله وعمله سلبه وزايله .

وقد جعل سبحانه نفوس المطمأنين إلى سواه أغراضها بسهام البلاء ، ليعلم عباده وأولياؤه أن التعلق بغيره مقطوع ، والمطمئن إلى سواه عن مصالحه ومقاصده مصدود وممنوع .

وحقيقة الطمأنينة التي تصير بها النفس مطمئنة أن تطمئن في باب معرفة أسمائه وصفاته ونعوت كماله إلى خبره الذي أخبر به عن نفسه ، وأخبرت به عنه رسله فتتلقاه بالقبول ، والتسليم ، والأذعان ، وانشراح الصدر له ، وفرح القلب به ، فإنه معروف من معرفات الرب سبحانه إلى عبده على لسان رسوله .

فلا يزال القلب في أعظم القلق والاضطراب في هذا الباب ، حتى يخالط الايمان بأسماء الرب تعالى وصفاته وتوحيده وعلوه على عرشه ، وتكلمه بالوحي بشاشة قلبه ، فينزل ذلك عليه نزول الماء الزلال على القلب الملتهب بالعطش ، فيطمئن إليه ، ويسكن إليه ، ويفرح به ، ويباين له قلبه ومفاصله حتى كأنه شاهد الأمر كما أخبرت به الرسل ، بل يصير ذلك لقلبه بمنزلة رؤية الشمس في الظهيرة لعينه .

فلو خالفه في ذلك من بين شرق الأرض وغربها لم يلتفت إلى خلافهم ، وقال إذا استوحش من الغربة قد كان الصديق الأكبر مطمئناً بالإيمان وحده وجميع أهل الأرض يخالفه ، وما نقص ذلك من طمأنينته شيئاً .

فهذا أول درجات الطمأنينة .

ثم لا يزال يقوى كلما سمع بآية متضمنة لصفة من صفات ربه .

وهذا أمر لا نهاية له .

فهذه الطمأنينة أصل أصول الإيمان التى قام عليه بناؤه .

ثم يطمئن إلى خبره عما بعد الموت من أمور البرزخ ، وما بعدها من أحوال القيامة ، حتى كأنه يشاهد ذلك كله عيانا .

وهذا حقيقة اليقين الذى وصف به سبحانه وتعالى أهل الإيمان حيث قال (وبالآخرة هم يوقنون) .

فلا يحصل الإيمان بالآخرة حتى يطمئن القلب إلى ما أخبر الله سبحانه به عنها طمأنينته إلى الأمور التى لا يشك فيها ولا يرتاب .

فهذا هو المؤمن حقا باليوم الآخر ، كما فى حديث حارثة : أصبحت مؤمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ قال : عزفت نفسى عن الدنيا وأهلها ، وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزا ، وإلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وأهل النار يعذبون فيها ، فقال : عبد نور الله قلبه .

* * *

والطمأنينة إلى أسماء الرب تعالى وصفاته نوعان .

طمأنينة إلى الإيمان بها وإثباتها واعتقادها .

وطمأنينة إلى ما تقتضيه وتوجبه من آثار العبودية .

مثاله الطمأنينة إلى القدر وإثباته ، والإيمان به يقتضى الطمأنينة إلى مواضع الأقدار التى لم يؤثر العبد بدفعها . ولا قدرة له على دفعها فيسلم لها ويرضى بها ، ولا يسخط ولا يشكو ولا يضطرب إيمانه ، فلا يأسى على ما فاته ، ولا يفرح بما أتاه ، لأن المصيبة فيه مقدرة قبل أن تصل إليه ، وقبل أن يخلق كما قال تعالى (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) وقال تعالى (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) .

قال غير واحد من السلف : هو العبد تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم .

فهذه طمأنينة إلى أحكام الصفات وموجباتها وآثارها فى العالم .

وهى قدر زائد على الطمأنينة بمجرد العلم بها واعتقادها .

وكذلك سائر الصفات وآثارها ومتعلقاتها كالسمع والبصر والعلم والرضا والغضب والمحبة فهذه طمأنينة الإيمان .

وأما طمأنينة الإحسان فهى الطمأنينة إلى أمره امتثالا واخلاصا ونصحا .

فلا يقدم على أمره إرادة ولا هوى ولا تقليدا .

فلا يساكن شبهة تعارض خبر .

بل إذا مرت به انزلها منزلة الوساوس التى لأن يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يجدها .

فهذا كما قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم صريح الإيمان .

وعلامة هذه الطمأنينة أن يطمئن من قلق المعصية وانزعاجها إلى سكون التوبة وحلاوتها وفرحتها ، ويسهل عليه ذلك بأن يعلم أن اللذة والحلاوة والفرحة فى الظفر بالتوبة .

وهذا أمر لا يعرفه إلا من ذاق الأمرين وباشر قلبه آثارهما .

للتوبة طمأنينة تقابل ما فى المعصية من الانزعاج والقلق .

ولو فتش العاصى عن قلبه لوجد حشوه المخاوف والانزعاج والقلق والاضطراب ، وإنما يوارى عنه شهود ذلك سكر الغفلة والشهوة .

فإن لكل شهوة سكرا يزيد على سكر الخمر .

وكذلك الغضب له سكر أعظم من سكر الشراب .

ولهذا ترى العاشق والغضبان يفعل مالا يفعله شارب الخمر .

وكذلك يطمئن من قلق الغفلة والأعراض إلى سكون الأقبال على الله ، وحلاوة ذكره ، وتعلق الروح بحبه ومعرفته .

فلا طمأنينة للروح بدون هذا أبدا .

ولو أنصفت نفسها لرأتها إذا فقدت ذلك فى غاية الانزعاج والقلق والاضطراب ، ولكن يواريها السكر فإذا كشف الغطاء تبين له حقيقة ما كان فيه .

وها هنا سر لطيف يجب التنبيه عليه والتنبه له ، والتوفيق له بيد من أزمة التوفيق بيده .

وهو أن سبحانه جعل لكل عضو من أعضاء الإنسان كمالا إن لم يحصل له فهو فى قلق واضطراب وانزعاج بسبب فقد كماله الذى جعل له .

مثاله كمال العين بالأبصار .

وكمال الأذن بالسمع .

وكمال اللسان بالنطق .

فإذا عدمت هذه الأعضاء القوى التى بها كمالها حصل الألم والنقص ، بحسب فوات ذلك .

وجعل كمال القلب ونعيمه وسروره ولذته وابتهاجه فى معرفته سبحانه ، وإرادته ، ومحبته ، والإنابة إليه ، والإقبال عليه ، والشوق إليه ، والأنس به .

فإذا عدم القلب ذلك كان أشـــد عذاباً واضطراباً من العين التى فقدت النور والباصر .

ومن اللسان الذى فقد قوة الكلام والذوق .

ولا سبيل له إلى الطمأنينة بوجه من الوجوه ولو نال من الدنيا وأسبابها ، ومن العلوم ما نال ، إلا بأن يكون الله وحده هو محبوبه وإلهه ، ومعبوده وغاية مطلوبه .

وأن يكون هو وحده مستعانه على تحصيل ذلك .

فحقيقة الأمر أنه لا طمأنينة له بدون التحقق بإياك وإياك نستعين .

الرســـول ومكارم الأخلاق

- إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً .
- أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً .
- إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم .
- مكارم الأخلاق من أعمال أهل الجنة .

الحقيقة المحمدية والعلم الحديث

مع علم النفس – السعادة الإنسانية

(٢)

يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه :

« أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين ، وأشار باصبعيه » « وخير البيوت بيت فيه يتيم يكرم وشر البيوت بيت فيه يتيم يهان . »

« وعلى كل سلامى فى جسد الإنسان صدقة » وعلى كل مسلم صدقة وصدقات .

« قالوا يا رسول الله فإن لم يجد . . قال : فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق قالوا : فإن لم يقطع أو لم يفعل ؟ قال : فيعين ذا الحاجة . . قالوا : فإن لم يفعل ؟ قال : فيأمر بالخير . قالوا : فإن لم يفعل ؟ قال : فيمسك عن الشر فإن له صدقة »

ولن تضيع عند الله مثقال ذرة من برأ وخير آجلا أو عاجلا ولن يضيع البر فى المجتمع عاجلا . . فهو تكافل كريم يمنع التحاسد والتباغض ، وينفى الاضطراب والسرقات وقطع الطريق .

إن الله ليرفع البلاء بالصدقات الجارية ، ويذهب غضبه بصدقة السر وبر الناس وما نزل بالناس من كرب فبما كسبت أيديهم ويعفو عن كثير ، وما نقص مال من صدقة فهو سبحانه يبارك بها المال ويطهره ، ويدخر مثوبة كبرى لديه عشرة أمثال الصدقات أو سبعمائة ضعف أو ليزيد من فضله والله واسع عليم .. ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة . ومن من الناس لا يذنب ويسىء ؟! فإن أرادوا إلى الله توبة ورجوعاً فليقابلوا جنوده الذين يملكون — وحدهم — صكوك الغفران — فضلا منه عليهم وبرأ بهم — إنهم الفقراء فهم أبواب الغفران والرحمة الكبرى . . « أحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله . » فمن حنث فى يمين « فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم » وكفارة الظهار والإفطار عمداً فى رمضان ليوم واحد إطعام ستين مسكيناً عند العجز عن

الصيام ستين يوماً ، وصوم رمضان معلق بين السماء والأرض ولا يرفع - لدى الله - إلا بزكاة الفطر - براً بالمساكين فى العيد ، ولحوم الأضاحى أحبها الله ما كان صدقة وبراً ولحوم الهدى بعد التمتع بالعمرة إلى الحج إنما هى طعام للبائسين . والنذور المرفوعة إلى الله بالبر والصدقات إنما يتقبلها بيمين الفقير والمسكين . ، أولئك الذين يتمنى النبيون أن يكونوا مثلهم فى الحياة الدنيا وفى المحشر لأن رحمة الله لا تفارقهم طرفة عين . .

وان يضيع على الفقير ثواب حج عجز عنه ما دام قد نواه ، ولن يضيع على المسكين ثواب جهاد وبر ما دام قد تمناه يقول الرسول الكريم : إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، و « نية المرء خير من عمله . ، ولنستمع إلى هذه المناقشة التى ترفع أقدار الفقراء عند الله فى ميزان محمد ولا ميزان لمخلوق أبر من ميزانه .

أقبل وفد الفقراء فى هم مقيم . يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور . . يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، ولهم فضول أموالهم (أى فى البر والصدقات والحج والجهاد قال : ألا أدلكم على شىء إذا فعلتموه لحقتم بهم . ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ؟ . قال : تسبحون الله ، وتحمدون الله وتكبرون الله . ، وهو فى مقام سابق بين أبواب الخير والصدقات التى يطيقها الغنى والفقير من إعانة ذى الحاجة أو أمر بخير أو إمساك عن شر ويقول : الكلمة الطيبة صدقة ، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة ، وأن تهش فى وجه أخيك صدقة ، وأن تضع اللقمة فى امرأتك صدقة . فكل بر بالناس صغير أو كبير صلة بالله مرفوعة ومرعية الجانب عند صاحب خزائن السموات والأرض .

تلك صفحة أخرى من إحساس الرسول الرءوف الرحيم وموقفه من علاج الفقر النازل ، والعجز المقيم وترتيب الإصلاح لديه : على الفقير القادر على العمل أن يكسب ولو أن يحتطب دون أن يسأل الناس وعلى الناس أن يغيثوا الملهوف ليبدأ حياته من جديد ، بقرض أو هدية أو صدقة ، ويسعدوا العاجزين . وعلى الفقير العاجز أن يتعفف ويتصبر فى يقين بالفرج والرحمة ، وليتحين الفرصة للعمل . وإذا كانت رعاية المجتمع وحل مشكلاته فى كفالة الأغنياء فإننا ندرك قيمة كسب المال والغنى من أوجهه المشروعة فهو من سبل سعادة الدنيا والآخرة ، فخير الناس عند الله أنفعهم للناس .

والآن لننظر إلى عمل الدولة بعد عمل المجتمع . . إنه صورة رائعة أخرى لعلاج الفقر علاجاً حاسماً ، وبناء صرح الحضارة الإنسانية ، وتوفير الغنى والسعادة لكل أسرة ولكل فرد كبيراً أو صغيراً ، مسلماً أو غير مسلم ... لكل إنسان كائناً من كان . .

إن واجب الدولة أولا أن تقيم لكل إنسان فيها عملا يرتزق منه توجيهاً ليده فى خير نفسه والناس والدولة ، وإمساكا لها عن الشر والمجتمع والدولة .

وينابيع الخير فى الأرض ذلولة وميسرة بأمر الله : هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون . » « وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » فليقتنوا ما شاءوا وليتملكوا ما أرادوا ويوضح هذه الفكرة عمر بن الخطاب فى رسائله لعماله على الدول الإسلامية فمنها . ووسع عليهم أرزاقهم ، وأعنهم على العمل فإن اليد التى لا تعمل فى الخير تعمل فى الشر ...

٢ — والدولة تشجع الناس على اكتشاف الثروات وركاز الأرض والمناجم وخيرات البحار والصحراء ولكل مكتشف ثمرات جهده ، وليس للدولة عنده إلا قدر يسير تستعين به على مصالحها فى سبيل المجتمع كله ، فالخمس شىء يسير إذا دفعه مستصلح الأرض أو مكتشف الكنوز ...

والدولة تجمع الخراج من الأرض ضريبة مفروضة على كل فدان ، وتجمع الزكاة من الناس على الزروع والثمار ، وفى التجارة والحيوان ، ومن الذهب والفضة وعلى عروض التجارة وفى ربح العقار وأبواب الخير العام ...

والخراج والزكاة حق الله ولو لم يكن هناك فقير ... فالمال مال الله ولا ملك لأحد . وهما حق الفقير فرض معلوم فى مال الغنى ليس له أن يتعالى به عليه أو ينقص من قدره « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم . . . » وفيه يقول الرسول : « المال مال الله وإنما أنا قاسم والله يعطى . . » ويقول عمر بن الخطاب تليذ محمد . والله ليس أحد أحق بهذا المال من أحد ، وما أنا بأحق فيه من أحد . »

وعلى الدولة أن توجه المال فى إصلاح شئون الدولة كلها مرتبات للجنود والموظفين ورجال الإصلاح والأمن والعلم وتشييد صروح الحضارة فى كل أبوابها حتى تسوية الطريق للمارة .. يقول عمر بن الخطاب . والله لو عثرت بغلة فى العراق

لوجدتنى مسئولا عنها أمام الله . لِمَ لَمْ أسو لها الطريق . » ذلك أنه فقه الحديث الجامع عن أستاذه محمد : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته .. فالأمير الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته . . . » ، إن الله سائل كل راع عما استرعاه . . حفظ أم ضيع . » « إن لله أقواماً اختصهم بالنعم لمنافع العباد ، يقرهم فيها ما بذلوها ، فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم . » أما الحكام المحتجبون عن حوائج الناس وبرهم وإيجاد حلول لمشكلاتهم فهم : « من ولى من أمر الناس شيئاً فاحتجب عن أولى الضعف والحاجة احتجب الله عنه يوم القيامة . » واجتمعت الزكاة والخراج فى زمن عمر بن عبد العزيز فلم يجدوا فقيراً مسلماً أو ذمياً فضاعف للجند العطاء وللعمال ؛ وفى مرة أخرى أمر بتعبيد الطرق وفتح أبواب الخير ، وكان هو وعمر بن الخطاب يكتبان لكل مولود فى كل شهر مائة درهم ليكون سبيل أمه فى غذاء دسم وهناءة بعيدة عن هم الفيش وكسبه فيكون أهنأ للوليد وأتم لبناء جسمه .

أما إذا جاع المسلمون لمجاعة أو كارثة فلا ملك لأحد ، يزيد الحاكم الضرائب كيفما شاء ، ويعطى من يشاء من الفقراء ، ويمسك عمن يشاء من مستحق الأغنياء فى عدالة هكذا فعل عمر فى عام الرمادة ، وتشريعه من عمل الرسول ما تروية كتب السيرة حينما جمعت غنائم بنى النضير — من اليهود — وزعها الرسول على المهاجرين وفقيرين من الأنصار فحزن الأنصار ووجدوا فى نفوسهم فعاتبهم الرسول عتاباً رقيقاً بالغاً ألا ترضون أن يرجع الناس بالنعم والشاه، وترجعون أنتم برسول الله ، لو لم أكن امرؤاً مهاجراً لتمنيت أن أكون من الأنصار .. فنزل القرآن يشرع ذلك ويظهر حكمته : كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم . . . »

تلك إنسانية بالغة فاضت على الإنسانية غيثاً هاطلا من الرحمات ، ودفعاً رائعاً إلى الخيرات ، وقيادة رشيدة إلى بناء صروح الحضارات . . ثم ما يزال فى قلب محمد العظيم منفسحاً فسيحاً ليسع الأرض والسموات ، فلا تشغله رعاية الأرض بمن فيها عن حب السموات ومن فيها ، وعن رب الأرض والسموات .

فلتدلنا الإنسانية كلها عن قلب كقلب محمد ، وعن شخصية ورسالة وافية كما عند محمد صلوات الله وسلامه عليه .

المذاهب المـــادية

والرسالات السماوية

للأستاذ حامد محمود الزفرى

المدرس بالأزهر

قال صاحبي وهو يحاورني . وماذا نفهم من تأنيب سارتر للفرنسيين على موقفهم في الجزائر . والشيوعيين وإمدادهم الدول الساعية للخلاص من الاستعمار ألا يدل ذلك على سمو الغاية ونبل الهدف . ولا سيما أن قضية الحرية الإنسانية هي شغل العصر الحديث فعليها قامت الثورات الكبرى والمحلية وفي سبيلها تتكتل الجهود وتبذل الدماء . ومن أجل حمايتها انتحى العلم الحديث ناحية الصواريخ وعالم الفضاء والفكر الفلسفي والأدبي لا تلحفه غرابة إذا أسهم هو الآخر في هذا الميدان . وبالتالي فالوجودية والشيوعية إنما تدليان باتجاهاتهما في هذه المعركة الحامية التي هي سمة العصر الحديث وأخذ صاحبي في إلحاف يطالبني بتفسير ذلك قبل أن آخذ بيده إلى رحبة القرآن الكريم . فقلت . نعم ياسيدي . أما الوجودية فمذهب أدبي له قصصه وأدبه وإن ادعى سارتر أنها فلسفة إنسانية كما هو عنوان محاضرة أخرجها في كتاب والقصة وسيلته وحي سان جرمان دي بريه مسرحه على الطبيعة والشاشة البيضاء في رواياته . والواضح أن الوجـــودية لا تدل اتجاهاتها الأدبية على إطار عام ينتظم المجتمع الإنساني . اللهم إلا إطار الهدم والقلق والغثيان فهي مذهب أدبي كاد أن يلحق بالسريالية في التحزب الأدبي ومعركة فلسفية ذاتية قامت لتحمل رسالة البرغوتية التي كانت تحتضر عام ١٩٣٧ م وهو عام حاسم في عمر طلاة الأيديولوجيات وفيه دخلت الوجودية فرنسا من طريق

« الجمعية الفرنسية للفلسفة » فى رعاية « جان وهل » وغبريال مارسيل . وما إن وقعت . . الحرب الثانية وحل الاحتلال النازى حتى ظهر الغذاء الجديد . . سارتر . وإذا كان ديور الفرنسى يبدع فى عالم الموديلات فكذلك المحافل الأدبية لا تعدم أمثال سارتر . غير أن هذا الموقف من جانبه بالنسبة للجزائر لا يدل إلا على الدعاية لناديه الأدبى . وإلا فأين مثاليته التى تصنع الفرد وتنظم المجتمع ؟

إنها تكفر بالمجهود البشرى فى خطه التاريخى الطويل وتضرب بمثالياته وتجاربه عرض الحائط كما يقولون وهذا هو التطور فى نظرها .

وإذا كان التطور هو التغير . والتغير الصاعد بالذات فليس ذلك إلا لأنه إضافة تجارب الحاضر إلى تجارب المجهودات الماضية واستخلاص فكرة جديدة مطعمة نامية للمستقبل وعلى هذا فالتطور بناء صاعد . لا هدم ماض وقلق حاضر وغفلة عن مستقبل .

والشرق العربى والعالم الإسلامى برغم ما أصابه من خطوب وأحداث فى عصور التدهور والخلافة التركية الجاهلة حيناً والاستعمار الأوربى حيناً آخر رغم ذلك كله وما أصابه من خطوب وما وقع فيه من تأخر وحل به من تخلف فإنه مشدود بحبل الوثوق من الحياة وآمن لما فيها من قوى ومؤمن بما حوته من تجارب الإنسانية وبما عاش فى قلبه من نور البصيرة ويقظة الضمير .

العربى والمسلم حياته مليئة مسالمة وشتان ما بين الحياتين .

ولقد بدأ الوحى السماوى بتوجيه الإنسان إلى العلم والأخذ بأسباب هذا السلوك فى أول آية نزل بها : « إقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . إقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » . بل أشار صراحة وفى غير مواربة إلى أن سبب استخلاف آدم فى الأرض . وعمرانها لا يكون إلا بالعلم . فقال تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها » وبسبب ما وهب آدم من قوى الإدراك الانفعالى وملكة الوعى التعليمى والبحث التجريبى . بذلك

وحده كف الملائكة عن تعلقهم بالخلافة الأرضية بدلا منه . ودفعاً لنا نحو هذا السلوك القيم قال : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ » لذلك لم يسع رسول الإسلام عليه السلام إلا أن يقول فى هذا التوجيه طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

وإذا كان المقصود بالعلم هو البحث عن أسرار الحياة والكشف عن مكنون الوجود المادى والروحى . إذ أنه إما أن يقوم بتسهيل ما ينمى حياة الإنسان المادية ، زراعية وتجارية وصناعية ، وهذا الاتجاه فى البشر وجد بوجوده والتجربة والملاحظة والاستنتاج وسائل لتحقيق ثمرته ، وهذا المنحى العلمى هو الذى أشار إليه القرآن فى قوله : « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء »

وإما أن يقوم بتنظيم حياة المجتمع لتوزيع ثمراته وجهوده تحت راية العدل والحرية والمساواة وتجديد السلوك النفسى وتحديد مواقفنا حيال حياتنا الفردية والجماعية والتلذذ بالجمال والسعى إلى الخير والإيمان بالحق . وارتباط كل ذلك بالقوى الهائلة ، والفاعل المختار فى هذا الوجود « الله »

وإن من جمع بين هذين الاتجاهين فهو الإنسان الحقيق بالوجود ، الجدير بالاعتبار ، وعلى ضوء هذا الجمع بين الانطلاقتين الروحية والمادية ، وفى ضوء ذلك التبراس المنتج الذى لم يخلق الله شيئا أعز عليه منه « العقل » فى ضوء ذلك السلوك المحكم الأطراف القوى البنيان ، المتين الأركان ، وفى ضوء ذلك الارتباط الكلى بين الانسان والوجود اللانهائى ، مكانا وزمانا أخذ القرآن الكريم ينظم الاستجابات الانسانية ويصنفها بالنسبة للحياة ، وإليك ما رسم فى تنظيم تلك الاستجابات .

يتبع

حامد محمود الزفرى

النبي محمد كلم الموتى

للدكتور على عبد الجليل راضى
رئيس جمعية الأهرام الروحية

محمد النبي المختار وهب من ربه خصائص الوساطة الروحية العليا ونكتفى بالكلام اليوم على وساطته التى مكنته من التكلم مع أرواح الموتى .

من المعلوم لبحاث الروحية اليوم أن هناك شيئا اسمه « الجلاء السمعى » وهو مقدرة الشخص على سماع أصوات ليس لها مصدر مادى مباشر أو بمعنى آخر أصوات لا يمكن الأشخاص العاديين الآخرين أن يسمعوها . كما إن هناك شيئا اسمه « الجلاء البصرى » وهو مقدرة الشخص على رؤية مناظر ليس لها مصدر مادى مباشر أو بمعنى آخر مناظر لا يمكن للأشخاص العاديين الآخرين أن يروها

ولقد كان النبي محمد عليه السلام يتمتع بهاتين الموهبتين إلى درجة كبيرة وإن ما وصلنا من الأخبار عبر التاريخ لهو قليل من كثير ، ومن المحتمل جدا أن يكون النبي قد سمع أو أبصر بالجلاء أكثر مما دونته الأحاديث النبوية ، ذلك لأن كل موهوب عظيم لا يتحدث عن مواهبه إلا بقدر ما يهم الناس أو المجتمع الذى يعيش فيه وقد يحتفظ لنفسه بكثير من تجاربه وإحساساته نظرا لخوفه من سوء تفسير قومه لها أو لعدم تقدمهم فى العلم للدرجة التى تبيح لهم القدرة على تفهمها فى عصرهم الذى كانوا يعيشون فيه ...

أعود فأقول أن النبي محمد كان يتمتع بجلاء حواسه فلم يكتف جلائه السمعى بالاستماع لصوت الروح الأمين جبريل فقط بل تعدى ذلك إلى مقدرته على الاستماع لأصوات الموتى من بنى البشر . كانت هذه الأصوات تترامى إليه فى مختلف الأوقات . وكان الغرض منها هو توصيلها لقومه . ألم يكن هو حلقة الاتصال بين العوالم العليا والعالم الأرضى . ألم يختره الله بينه وبين عباده وسيطا ورسولا ... ؟

جاء فى البخارى « خرج النبى (ص) وقد وجبت الشمس فسمع صوتا فقال يهود تعذب فى قبورها » .

وخرج النبى ذات ليلة قاصدا البقيع حيث كانت قبور قتلى أعدائه فى موقعة بدر . وكان يصحبه بعض من رفاقه من بينهم عمر وعندما وقف على القبور بدأ يقول « يافلان بن فلان ويا فلان بن فلان . . هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا ، فإنى قد وجدت ما وعدنى الله حقا » فقال عمر « يارسول الله اتنادى قوما قد جيفوا » فقال لهم « والله ماأنتم بأسمع لما أقول منهم » .

وواضح من هذا أن النبى خرج فى تلك الليلة وفى المدة التى سبقتها ومعه عدد من رفاقه كشهود على امكانية الاتصال بأرواح الموتى . وهو قد تمكن هنا بالتكلم إلى القتلى وبتوجيه الأسئلة اليهم ولا يدخل فى روع أى عاقل أن النبى كان يوجه أسئلته لجمادات لا تعقل ولا تسمع ولا تتكلم . . إنما كان يسألها وهى تجيب وإنما كان هو الذى يسمع الأجابة من بين كل رفاقه لأنه وحده كان الوسيط فيهم وعلى فرض أنهم لم يتمكنوا من الاجابة عليه فهذا يجعلنا نخرج من هذا الحادث بنتيجة هامة وهما أن أرواح الموتى تسمع كلامنا وفى امكانها أن تجيب عليه (لسبب أنهم كانوا متأخرين روحيا أو فى حالة غيبوبة أو فرض روحى كما يقول الروحيون . ويمكننا أن نسمع تلك الاجابة لو كان بيننا أشخاص موهوبون الجلاء السمعى .

وهناك أمثلة أخرى لارتباط العالمين الروحى والمادى فى حياة الرسول ففى اللحظة التى مات فيها النجاشى ملك الحبشة انتقلت روحه لتحيى الرسول فى طريقها إلى عالم الروح فشعر بها النبى فى الحال . وقال لأصحابه « مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمه » .

وقال زيد بن ثابت يصف حادثا آخر « بينما النبى صلى الله عليه وسلم فى حائط لبنى النجار على بغلة له ونحن معه إذا جاءت به فكادت تلقيه وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال من يعرف أصحاب هذه الاقبر فقال رجل أنا فقال فتى مات هؤلاء فقال ماتوا فى الأشراك فقال أن هذه الأمة تبتلى فى قبورها فلولا أن لاتدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى اسمع منه .

وأود أن أعقب على هذا الموضوع بكلمة لا بد منها لتنوير الأذهان :

أولا : ففى الحادث الأخير الذى رواه نجد أنه لم يشعر بوجود أرواح القتلى فى ذلك المكان من بين افراد القافلة إلا النبي نفسه فقد رآهم بالجلاء البصرى وشاركته فى تملك الرؤية مطيته إذ فزعت فجأة وحادت وكادت أن تلقيه . . .

والجلاء البصرى عند الحيوانات شيء معروف فالحصان يصهل ويفزع وكذلك الكلب يجرى وينبح بغير سبب معروف . وفى كلتا الحالتين يكون الواحد منها قد أطلع على روح مخلوق أثيرى لا نراه نحن ولقصر نظرنا نعيب عليه ونقول حيوان خائف أو مجنون . . .

ثانياً : وكون هذه الأرواح فى قبورها أو فى غير قبورها فهو شيء مجازى — والقبر فى رأيى وفى رأى الروحيين هو المكان الذى تظن نفسك فيه بعد انتقالك . . . وفى جميع الحالات التى مرت بنا هنا نجد أن النبي محمد كان يخاطب الموتى وكأنهم فى قبورهم . ولذلك فى الروحية تفسير واضح وهو أن القتلى دائما يظلون مرتبطين بالأرض لفترة ماحتى ينتهوا إلى حالتهم الجديدة ويدركوا أنهم قد انتقلوا من العالم الارضى وكثير منهم لا يدرك أن هناك عالما روحيا يمكنهم الحياة فيه وكثير منهم يظن أن القبور هى آخر المطاف وأن عليه أن ينتظر على حافته إلى يوم يبعثون . وهؤلاء وهؤلاء هم المتاخرون روحيا والذين سوف يعذبون إلى أبدالآبدين . هؤلاء هم بؤساء البشرية الذين يستحقون عطف الاحياء منا . والذين كانوا وما يزالون محتاجين إلى التعليم والتنوير من زملائهم سواء كان هؤلاء الزملاء فى عالم المادية أم فى عالم الروح .

هؤلاء الذين انحطت عقليتهم لدرجة أنهم يعيشون فوق رممهم هم شر البرية وأنهم يزاولون أعمالهم الدنيوية بجهل ، يسيرون فى الطرقات هائمين على وجوههم يريدون التحدث مع الاحياء والاحياء لا يسمعونهم ولا يشعرون بوجودهم ومن هنا تأتى الطامة الكبرى إذ تزداد تعاسة هؤلاء التعساء وتتراكم فوق عقولهم الظلمات .

ولا يشعر بهذه الاوراح الهائمة الاناس العاديون وإنما يشعر بها فقط الوسطاء كما يشعر بها كثير من الحيوانات .

قال ص « إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت قدمونى وإن كانت غير صالحة قالت ياويلها أين يذهبون بها يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعه صعق » .

فكان جديرا أذن بالنبي محمد وهو مصدر المحبة والحنان فى ذلك الاوان أن يعطف على تلك الارواح المتأخرة ويكلمها سواء باللسان أو بالفكر أملا فى أن يساعدها على التقدم والتشفع لها لدى ربه الرحمن ...

ثالثا : إذا صدقنا أن النبي محمد أمكنه التكلم أو الاستماع إلى أرواح القتلى وهى أرواح متأخرة بالطبع وأثبت باتصاله بها أنها حية نشطة لها فكر ولسان وإذن فكيف لا يكون أكثر احتمالا وأكثر إمكانية الاتصال بأرواح الشهداء المبادىء وأرواح الموتى العاديين الذين هم ولا شك أرقى وأعلى درجة من الروح القتلى الذين ماتوا على غير القانون .

إنما كان فى تكلمة محمد للموتى عبرة للأحياء الذين لا يصدقون بالحياة الآخرة الذين يظنون أنهم سوف يصبحون بمجرد توقف أنفاسهم حجارة أو حديدا ، وأنهم ينامون أجيالا حتى يلاقوا ماوعدهم المرسلون . ومن هنا فلتعلم أيها الحى أن خيط الحياة لا ينقطع وأنك بعد القبر مثلك قبلة نفخة من روح الرحمن لك نفس الشخصية ونفس الآراء ونفس الصوت والقلب واللسان وسبحان الخلاق العظيم ... وسلام على مهبط الروح العظيم ...

المجلة :

نشرنا هذه الكلمة للأستاذ الدكتور على راضى الأستاذ بكلية العلوم بجامعة القاهرة ، كوجهة نظر خاصة بالروحية الحديثة كما يسمونها . بدون أن نتقيد بشيء مما جاء فيها .

ويرى القارىء فى الصفحات التالية رأياً آخر مضاداً للأستاذ حسن عبد الوهاب السكرتير السابق لجمعية الأهرام الروحية .

ومجلة « الإسلام والتصوف » تفسح صدرها لوجهتى النظر . وتحتفظ برأيها الذى ستبديه . وترجو أن يكون فيصلا فى تلك المسألة التى تشغل الآن عدداً كبيراً من رجال العلم والدين .

الروحية الحديثة

ضلال . . . وردة

للأستاذ حسن عبد الوهاب

السكرتير السابق لجمعية الأهرام الروحية

من أبرز المميزات التى يتسم بها المشتغلون بتحضير الأرواح — ولا أقول « الروحيون » — أنهم يسوون بين رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وبين وسطائهم مهما بلغ من تفاهتهم أو انحرافهم عن الفضائل والخلق فهم فى حسبانهم سواء بسواء .

وأذكر أنى قد قرأت فى بعض كتبهم أنهم لا يكتفون بالتسوية بين هؤلاء وهؤلاء بل يفضلون البعض من وسطائهم على كثير من الأنبياء السابقين ويتعمدون أن يلحقوا بهم الثمائص والهنات بينما هم يبرئون وسطاءهم من أمثالها وهم بذلك يرفضون العقيدة الثابتة بأن هؤلاء الأنبياء مرسلون من الله تعالى لهداية البشر ويؤمنون بأن هؤلاء الأنبياء إنما هم وسطاء وقع عليهم الاختيار من عالم الروح وأقصد (من أرواح البشر السابقين الذين اجتازوا درجات كبيرة من الرقى الروحى) ليمدوهم بأفكارهم وعظاتهم ويشجعوهم على تأدية رسالتهم فى هدايه البشر . أى أنهم مبعوثون من أرواح البشر لا من الله تعالى . ومن هنا فقد الأنبياء وكتب الله الكريمة التى أنزلت عليهم صفة القداسة فى نفوس المعنيين بشئون الأرواح ولعل أوضح مثل لذلك قول فرعون الروحية « سلفر برش » .

« إن ولاءنا لا للكتاب ولا لعقيدة ولا لكنيسة ولكن ولاءنا لله وحده » .

وسبق لى أن أوضحت فى مقالات سابقة أن هذه البدعة « بدعة تحضير الأرواح » تميّع العقيدة فى نفوس المؤمنين وتهون من اعتبارات القداسة التى أضفاها الله تعالى على أنبيائه ورسله وكتبه ثم لا تلبث أن تثير الشكوك والريب فى جدوى ما افترض الله من شعائر وعبادات من صلاة وصيام وحج طالما ان يكون هناك فى عالم الروح كبير وزن لما اعتنقه البشر من عقائد وأديان منزلة — فلا عبرة

هناك بعنوان العقيدة التي يحملها الإنسان من إسلام ومسيحية ويهودية بل ووثنية بل العبرة كل العبرة بما أداه من خدمات لإخوانه فى البشرية فقط .

وقد دفعت هذه الرِّدة الدينية الكثيرين من أصدقائى « الروحيين ؟ » (كما لاحظت عن كثب) إلى الاستهانة التامة بالفرائض الدينية والآداب الإسلامية والتشكك فى جدواها وتعليلها تعليلاً مضحكا فالصلاة فى نظرهم إن هى إلا صورة بدائية لبعض تمرينات رياضية كان العرب فى حاجة إليها ، والصيام ما هو إلا ضرورة اجتماعية فرضها الفقر والحاجة اقتصاداً فى استهلاك الطعام .

والحج كان موسما جاهلياً من الصالح بقاؤه لما فيه من إنعاش إقتصادى واحتفاظ بسيادة قريش الدينية . والتضحية فى العيد الأكبر بذبح الحيوان بربرية وحشية تذوب لها قلوب الروحيون الرقيقة الناعمة والحَمِّيَّة الوطنية والتعصب القومى فى عصر الذئاب المسعورة الذى نعيش فيه الآن ما هو إلا تنكر ذميم لأخوة البشر — ولو كان سائر البشر يريدون أن يبطشوا بالحمل الوديع .

وإنى لأستفسر من سادتى « الروحيين الحالمين » ما هى الأهداف التى ترجونها من هذا الاتصال الروحى ؟ هل سيتولى عالم الروح تكملة نقص فى الدين والله يقول : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » والرسول صلوات الله عليه وسلم يقول « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها » « وتركت فيكم اثنتين لن تضلوا ما تمسكتم بهما أبداً كتاب الله وسنتى أو عترتى » ؟ .

أم تريدون إثبات حقيقة استمرار الحياة بعد الموت وهى الحقيقة التى عليها رحى الأديان كلها ؟ وهى فى غير حاجة لإثباتها من خارج الدين ! ! خصوصاً بيننا معشر المؤمنين ؟

ما هو الهدف الحقيقى الكامن من وراء هذه البدعة والذى استتر على عقول (الروحيين المسلمين) بحسن نية وسطحية تفكير ؟ إنى أتساءل وسوف تكشف الأيام يوماً عن الأهداف ويومئذ لا ينفع الظالمين معذرتهم .

إن الاتصال الروحى حقيقة لا أنكرها ولكن لا عن طريق الدوائر المظلمة ولكن عن طريق التصوف النقى الصحيح .

نسأل الله الكريم أن يرينا الحق حقاً فنتبعه وأن يرينا الباطل باطلا فنتجنبه إنه أفضل مسئول وأكرم مأمول وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وآله وذريته وصحبه .

ما هذا الروح الطيب؟

للأستاذ محمود شلبى

أخى . . .

كان اليوم صباحا . . . عندما جاءتنى البرقية . . . وتلوتها أكثر من مرة . . .

كانت كلمات خمسا ، محكمة ، لاسبيل إلى الأمل فيها .. « محيي شاهين توفى ودفن بمنى » . . .

خمس كلمات كأنهن خمس رصاصات استقرت فى صدرى ، فقتلتنى ، إلا أنها لم تقض علىَّ قضاء مبرما ، وإنما تركتنى كالطائر الذى ذبحوه ، إلا أنهم لم يجهزوا عليه ، فانفلت يشخب دمه من عنقه ، بين الموت والحياة .

أخى . . .

الآن انكشف عنك الغطاء ، وعاينت الحقيقة ، ورأيت اليقين ، وعلمت مالم نعلم ، وعاينت مالم نعاين .

الآن رأيت وعاينت ما كنت توعد بالغيب ، وتؤمن به وأنت فى الدنيا ، إيمانا لا يتزعزع .

اذكر أننا كنا نتجادل فى فتنة تحضير الأرواح ، التى شاعت وذاعت من قريب ، فكنت تسخر منا وتقول : ما لنا نحن وهذا . . . تلك مغيبات سوف يكشفها الله لنا عندما نعود إليه .

وقد عدت الآن إلى ربك ، وكشف لك حقيقة عالم الروح ، لأنك أصبحت الآن روحا من تلك الأرواح .

فكيف وجدت الروح يا أخى ؟ .

كيف وجدتها عندما انسلخت أنت روحا من جسدك ؟ .

عندما باشرت بنفسك تجربة الموت ، وجاءك رسل ربك يتوفونك .

عندما بلغت منك الحلقوم ، وجاءك ملائكة وجوههم كالشمس من بعيد ينظرون . . .

استمع يا أخى إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يفصل لأهل الدنيا مايجرى عليهم ساعة الاحتضار . . .

« . . . إن العبد إذا كان فى إقبال من الآخرة ، وانقطاع من الدنيا ، نزلت إليه ملائكة كأن وجوههم الشمس ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول أيتها النفس الطيبة أخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال — فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض — قال — فيصعدون بها ، فلا يمرون بها يعنى على ملإ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب ، فيقولون فلان بن فلان بأحسن اسمائه التى كانوا يسمونه فى الدنيا ، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها ، حتى ينتهى بها إلى السماء فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدى فى عليين ، وأعيدوه إلى الأرض ، فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى — قال — فتعاد روحه فى جسده ، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك ؟ فيقول ربى الله ، فيقولان له ما دينك ؟ فيقول دينى الإسلام ، فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول هو رسول الله ، فيقولان له وما علمك بهذا ؟ فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت ، فينادى منادٍ من السماء أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وافتحوا له بابا من الجنة — قال — فيأتيه من ريحها وطيبها ، ويفسح له قبره مد بصره » .

أخى . . .

كيف حين مررت بتلك التجربة ، حين جاءك ملك الموت ، وحين أخذك منه الملائكة الذين وجوههم كالشمس ، وحين صعدوا بك إلى السماء الدنيا ، فما يمرون بك على ملإ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ . فيقولون : هذا محيى شاهين .

وكيف بك حين صعدوا بك من السماوات السبع ، وشيعك من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها ؟ .

وكيف بك حين التقيت بربك ، وجاء النداء من قبله سبحانه ، وسمعته بأذنيك ، اكتبوا كتاب عبدى فى عليين . . .

اعتقد أنك كنت فى سرور يفوق سرور أهل الأرض أجمعين .

لقد أيقنت فى تلك اللحظة . . . أن الله الذى كنت تعبده وترجوه فى دنياك . . . قد رضى منك عقيدتك ، وقبل منك أعمالك . . .

إنها الفرحة الكبرى يا أخى . . . ولقد عاينتها ومررت بها . . .

وأنت الآن فى عالم البرزخ . . . الذى نسميه بالبرزخ لقصور علمنا ، وظلمة تكويننا .

وماذا نملك فى هذه الدنيا إلا الظنون والأوهام ؟

ولكنك الآن أرفع منا علما ، وأوسع منا تفكيراً ؟ .

فأول شىء أنك تحررت من جسدك ، ذلك السجن الكريه ، الذى يعوق الروح عن انطلاقها .

وثانى شىء . . . أنك الآن روح تنتقل فى عالمها حيث شاءت .

والأرواح ترى وتسمع فى سرعة لا تتصورها . وتتحرك فى عالمها فى حرية تامة وسرعة فوق الخيال .

أظنك تضحك منى الآن . . . وتقول فى نفسك : ما لهذا الجاهل يتكلم فيما لم يعاين ، ويتحدث فيما لم يجرب ؟ .

وأقول لك : معذرة . . . فهو الإنسان . . يحاول أن يكون شيئا . . وما هو شىء !

وثالث شىء . . . أنك الآن لو عرض عليك أن ترجع إلى الدنيا لرفضت وأبيت ، بعد ما شاهدت ورأيت ، ما أعد الله لعباده من الكرامة والنعيم ، ولسان حالك يقول : « يا ليت قومى يعلمون . بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين » .

ورابع شىء ... أنك قد فزت ، ونجحت فى الامتحان . . .

فإنى أشهد الله وحملة عرشه وملائكته وجميع خلقه ، أنك كنت مستقيما إذا اعوج الناس ، صريحا إذا نافقوا ، أمينا إذا خانوا ، تريدها بيضاء لا عوج فيها ،

ولقد كنت مجاهداً بالحق لا تستطيع أن تكتمه ، أو تدارى أو تجارى أو تمارى فيه .

إذا رأيت شيئاً لا يرضى الله ، انطلقت تقاومه وتدافعه ، وكنت تلاقى ما تلاقى فى ذلك ، ويلومك اللائمون لوما كثيراً .

واشتهر عنك ذلك الخلق العمرى

حتى وصفوك بالمتصلب والمتشدد والمتعصب ، ويا لها من تيجان من نور ، ستجنى أو قد جنيت ثمارها الآن .

فليس أعظم من إنسان يجهر بالحق، فى قوم لا يحبون الحق .

وليس أعظم من إنسان يقول الحق ولو كان مراً .

ولقد كان فى خلقك صفاء ونقاء .

ولم يكن ذلك فيك عن اكتساب، وإنما عن فطرة فطرك الله عليها ، ونعمت الفطرة .

كنت تنطق بالحق كالسيف البتار ، لا تبالى أرضى الناس أم سخطوا ... وأنت فى ذلك لا تبغى إلا رضا مولاك . . .

أخى . . .

لقد كانت أخوتنا أخوة فى الله ... وكنت أنت مرآتى التى أرى فيها عيوبى ... وخير الأصحاب من أهدى إليك عيوبك .

وكيف أنسى أنك كنت أثناء زحمة الحياة بالقاهرة ، تصر على أن تؤدى الصلاة فى المسجد فى جماعة ، فإذا راوغتك أو حاورتك ، زأرت كالأسد ، واتجهت من فورك إلى بيت الله ، فاضطررت أن أتبعك فى لنصلى فى جماعة .

مَن الآن يذكرنى كما كنت تذكرنى ؟ ...

من الآن يعلمنى الأخلاق عمليا ؟ .

لقد فزت أنت فوزا عظيما ..

وخسرت أنا خسرانا مبينا ..

أما أنت فاختارك الله ، وآثر لك ما عنده ، وأما أنا فابتليت بفقدك ، لأعيش وحدى ، بلا أخ يعيننى على ذكر الله .

فادع الله يا أخى وأنت الآن فى عالم الحق ، أن يهدينى سواء السبيل وألا يفتننى من بعدك .

وأما أنا فسوف أدعوه سبحانه أن يكرم مثواك ، ويرفع درجتك .

وليس من عزاء إلا قوله صلى الله عليه وسلم : « ما من من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرنى فى مصيبتى وأخلف لى خيرا منها ، إلا أخلف الله له خيرا منها . » :

محمود شلبى

أمنيـــة وتهنئة

مجلة التصوف فى عامها الثالث

للأستاذ السيد العنانى

كان أصلاح المجتمع الصوفى أمنية عزيزة تتردد فى أحاديث الصفوة من رجال هذه الأمة منذ حقبة طويلة أو خيالا يداعب أفئدة المشفقين على تراث التصوف الغالى والمقدرين لأهميته وخطره بين المسلمين ، ولكن تحقيقها كان وهما من الأوهام ، لما كانت تجتازه الأمة الإسلامية من محن متوالية يصنع حلقاتها المستعمرون ، حتى ماتكاد وتخلص من واحدة إلا وتأخذ أخرى بخناقها .

وما إن تأذن الله لهذه الأمة أن تتخلص من المستعمرين وأذنابهم من البغاة على أيدى تلك النخبة المؤمنة بربها ودينها وبتراث أمتها المجيد ، وأخذت تنفخ نيران الوطنية الصحيحة الكامنة بين الجوانح ، وتبعث جذوة الشعلة المقدسة للجهاد الأكبر ، حتى أنبعثت تلك الهياكل النورانية لرجال التصوف لتضىء الطريق إلى القلوب التى ران عليها الجهل ، وتستعيد الراية التى كان لها شأن وأى شأن عبر مدى حقب التاريخ .

وكان إلهاما من الألهام ذلك الذى ألقى إلى رجال الثورة فجعلهم يقدرون خطر رجال التصوف فى هذه الأمة ، وما أنشأوه على مختلف الظروف من فتيان كان لهم شأنهم فى السلم والحرب على سواء ، وكانوا فى محاربهم الكاسين محتبين ، وفى ميادين الوغى ليوث غاب وفرسانا معلمين وكانت آية الفتح . وعلامة التوفيق ، أن أسندت قيادة تلك الطائفة إلى سماحة السيد محمد عاوان ذلك الرجل الذى عرفه الكافة ثابت القدم فى الطريق ، ووارث للولاية عن كابر فى الأولياء عريق ، كما عرفوه رجل

كفاح وجلاد وفى خدمة بلاده على مختلف الظروف ، خبر الدنيا على حداثه سن ، وخاض غمار الكفاح وذاق الصداقات والعداوات ، فكان فى كل احواله المجلى ، ذا العزيمة النفاذة والهمة التى لا تعرف الكلل .

إذا هم ألقى عزمه بين عينه ونكب عن ذكر العواقب جانبا

وسرعان ما التف الناس حوله فى محبة واعزاز ، ينصتون إلى توجيهه فى إعجاب ، ويستمع إلى نصحه فى رحابه صدر وفهم سليم ، لا عنجهية ولا كبرياء بل سماحة وتواضع يزيل ما بينه وبين محدثه من فوارق ، فما لبث العالم الإسلامى أن صحا على دوى نهضة صوفية نظيفة شملت القرى والمدن ، واجتازت صدور الاقاليم والأقطار . وربت فى المشتغلين بالتصوف روح جديدة تبعث على الرضا والفرح ، والطمأنينية إلى استعادة ذلك المجد الذى أساء اليه الجهل واحتراف الدروشة

ولما كان يعرف أن داء المتصوفة فى هذا الجيل الجهل السائد بين الأكثرية فقد عمل منذ اليوم على تنظيم تثقيفهم ، وتزويدهم بالنافع المعين من تلك الثقافة الرفيعه تعاونه طائفه ممتازة من العلماء والباحثين ، وشغلت المطابع بما يصدر كل يوم عن المشيخة العامة من الرسائل والبحوث النفيسة ، يزود بها رجال التصوف ويمدهم بمدد جديد من العلم والمعرفة .

وكانت خطواته الكبرى إصدار (مجلة الإسلام والتصوف) على رغم ما هو معروف من تكاليفها الباهظة فى تلك الظروف القاسية التى لا يروج فيها إلا الغث الرخيص من المنشورات وحشد أكبر عدد من العلماء والكتاب يغذونها بنفائس التصوف ورقائقه ودقائقه ، خالصة من شوائب الزيغ والألحاد حتى غدت بحق راحة النفوس المكدودة ، وراحة الأرواح المؤمنة التى تؤمن ببقاء الروح ، يعاونه فى ذلك كله الكاتب الصوفى البارع الأستاذ طه عبد الباقى سرور ذلك الشاب التى صهرت روحه فى بوتقة التصوف منذ مطلع حياته والذى لا ينفك عن العمل ساعة من ليل أو نهار لأبلاغ رسالته التى خالطت روحه ودمه ، وما يكاد يفرغ من رسالة إلا ليعد بحثا ، وما ينتهى من بحث إلا ليعمل على أصدار كتاب جديد ، أو احياء كتاب قديم .

وإنه لما يبعث السعادة فى كل قلب مسلم أن يرى مجلة التصوف بين أيدى مختلف الطبقات يتداولونها فى حب وإعزاز يستقون من نبعها الصافى حقائقه وأن يرى دار المشيخة فى حركة دائبة ليل نهار ، وما ينفض اجتماع الا ليعقد آخر ، وما تنتهى لجنة للبحث والمناقشة إلا لتعقد أخرى ، لخير التصوف والمتصوفة ، وخير الإسلام والمسلمين

فإذا كنا نهنىء أنفسنا بدخول مجلتنا الحبيبة فى عامها الثالث ، فإنا نرجو الله أن يمد فى عمرها ، لتبلغ المسلمين فى شتى ربوع الأرض رسالة التصوف الصحيحة ، وتمدهم بمد دمن الثقافة الإسلامية الروحية ، وإذا كانت لنا من أمنية ، فإنا نرجو أن تتسع صفحاتها لتشمل ألوانا أخرى من الثقافة تغنى أبناء الجيل عن تداول تلك الأوراق التى تفسد عليهم دينهم وتحل أخلاقهم وتجعل منهم فتيانا متصوفة يسارعون فى الخيرات ، ويخشون ربهم فى السر والعلانية ، والله الموفق .

السيد العنانى

فقيد آل نعيم

انتقل إلى رحمة الله بالأرض المقدسة المرحوم الحاج محمد حسنين نعيم وكان رضوان الله عليه مثلا كريما فى طيبة القلب ، ونقاء الصدر ، وعفة اليد .

وأسرة « مجلة الإسلام والتصوف » تشارك الأستاذ طه عبد الباقى سرور مصابه فى فقد ابن عمه وتسأل الله للفقيد الرحمة ولآله الكرام الصبر وحسن العزاء .

من روائع القصص الصوفى :

محاكمة صوفية

للأستاذ محمد عبد الوارث الصوفى

من المبشرات السارة لقراء مجلة الإسلام والتصوف ومحبيها هذه القصة التى أرويها لهم — كما أنها فى الوقت نفسه من المبشرات السارة للمؤمنين جميعا — أن الله يدافع عن الذين آمنوا — تحمل أشياء وأشياء تفصح كلها عن رعاية الله تبارك وتعالى وحفظه لجميع العاملين المخلصين فى سبيل إعلاء كلمة الله والذود عن الإسلام والتصوف : وأهله ورجاله ...

ولنبدأ القصة من أولها — كنت فى دمشق فى العام الماضى أعمل فى إحدى الهيئات العربية المجاهدة وكانت مجلة الإسلام والتصوف تصلنى فى مطلع كل شهر فأقبل على قراءتها فى فرح بالغ وسرور كبير فقد كانت بالنسبة لى لا تقدر بالدنيا كلها وما فيها — ذلك أن هذه المجلة طابعها العام الهداية والإرشاد إلى طريق الله والسلف الصالح والعناية بأمر المسلمين الصادقين ليصلوا ماضيهم المشرق بحاضرهم الذى يذخر بحب المادة والإقبال على القشور دون اللباب — فهى محاولة مباركة لإعادة الروح الإسلامية الوضاءة والثقة بالله والاعتماد عليه والعمل بما فى هدى الكتاب والسنة من مثل رفيعة وصلت بالعالم الإسلامى يوم أن تمسك بها إلى مكان الطليعة فى رحاب هذا الوجود يوم أن كان هارون الرشيد — يقول حينما رأى سحابة عابرة تمر على قصر الخلافة — أمطرى أنا شئت فسيأتيني خراجك — يوم أن كانت الأعلام الإسلامية تخفق عالية على أكثر بلاد الدنيا مرهوبة الجانب فى جلال واحترام تضفى على الدنيا أجمل ما فى الوجود من مثاليات وآيات وحضارات خلدها التاريخ بأحرف من نور . ولنرجع إلى ما كنا بصدده : فقد كانت هذه المجلة تصلنى إلى مكتبى بدمشق طيلة المدة التى قضيتها فى عاصمة الأمويين — وقد شاءت الأقدار أن أعود إلى القاهرة وأترك العمل فى دمشق — ولكن المجلة ظلت مع ذلك تصل إلى المكتب على عنوانى السابق —

وقد حدث أنى سافرت فى رحلة قصيرة إلى دمشق فى شهر مايو الماضى ونزلت ضيفاً على المكتب الذى كنت أعمل فيه سابقا — وكان الشهر قد انتهى فإذا بالمجلة الحبيبة إلى نفسى وقلبى وروحى تصل باسمى إلى المكتب كالعادة فحمدت الله على ذلك وأقبلت على قراءتها فى شوق بالغ وسرور غامر — وبينما أنا فى نشوة هذا السرور وهى فى يدى — وإذ أقبل على أحد زملائى فى المكتب وقال لى بلهجة فيها غير قليل من القسوة والتهكم — يا أخى اسمع قل لأصحاب هذه المجلة فى مصر أن لا يرسلوها إليك هنا — فأنت مقيم فى مصر — ونحن لسنا فى حاجة إلى قراءتها ولا إلى أن ترسل إلينا — فقلت له سبحان الله — إن مثل هذه المجلة إذا وصلت إليكم وجاءت باسمى فإن ذلك يكون من فضل الله عليكم — بل يجب عليكم أن تحمدوا الله على مثل ذلك وتقبلوا على قراءتها والإنتفاع بها والحرص عليها — ولكن هذا الكلام لم يعجب صاحبنا — فقال فى حدة ظاهرة — اسمع أنا لا أريد أن ترسل هذه المجلة للمكتب فى دمشق — اقطع إرسالها حالا عندما تعود إلى القاهرة — فقلت وقد تقطعت نفسى حسرات على القائل — وأحسست بألم بالغ وإشفاق فى الوقت نفسه على الزميل — الذى أعلم من ناحية أخرى — أنه رجل من عنصر طيب جدا — ولكن لكل جواد كبوة — واعتذرت فى نفسى بأن الرجل وهو غريب عن بيئة الصوفية والتصوف — لا يعرف شيئا عن أمثال هذه المباحث النورانية التى تخوض فيها هذه المجلة — وقررت فى نفسى أننى حينما أعود إلى القاهرة فإن أول شىء سأفعله أن أتصل بإدارة المجلة وأقول لهم أرجو أن تقطعوا إرسال المجلة عن مكتب دمشق — وبعد أن انتهى حديثى مع نفسى ومع الزميل الغاضب على المجلة نمت وأنا متأثر بما حدث ... وفى الصباح الباكر من اليوم الثانى وأنا مستغرق فى نوم عميق فوجئت بيد تمر على وجهى فى رفق فلما فتحت عينى رأيت زميلى فى المكتب وصاحب حديث الأمس يقف على رأسى وقد بدت عليه مظاهر الهلع والخوف وهو يقول وأنا لم أكد أفتح عينى بعد : اسمع أرجوك أن تعتبر حديثى بالأمس عن مجلة الإسلام والتصوف كأن لم يكن — بل أرجوك وأستحلفك بالله العلى العظيم — أن لا تقطع عنا إرسال هذه المجلة العظيمة وأن لا تقول لأصحابها أن يمتنعوا عن إرسالها إليك هنا — وقبل أن أتبين الذى حدث لصاحبى

حتى غير فكرته من النقيض إلى النقيض — وحتى جاءنى على غير عادته فى مثل هذه الساعة المبكرة من الوقت — وحتى فاجأنى بمثل هذا الكلام الذى يكبر من أمر هذه المجلة وأصحابها وكتابها وقرائها ومحبيها — قال اسمع ياأخى — فقد رأيت بالأمس بعد أن تركتك شيئا عجيبا لم أره فى حياتى ولم أسمع بمثله — إننى لم أنم الليل كله وأنا فى خوف ورعب وعذاب ومحاكمة رهيبة طول ليلتى الماضية — فقد رأيت ويالهول ما رأيت — رأيت نفسى مقبوضا على فى يد حراس شداد غلاظ وأنا أجر جرا فى تهمة لا أعلمها إلى ساحة محكمة لا أعرفها فيها قرابة اثنى عشر قاضيا كأن على رؤوسهم الطير ثم وضعت فى قفص الإتهام — وبدأت محاكمتى — وشعرت بأن جسمى كله قد تكهرب من أوله إلى آخره وأنا شبه محموم لا أعى غير آلامى الشديدة ورعب وخوف يحيطان بى — ثم قيل لى : اسمع : أنت بالأمس تكلمت فى شأن مجلة الإسلام والتصوف وقلت عنها كذا وكذا وكذا — فبأى حق قلت مثل هذا الكلام — أجب ولكننى لم أجب — فقد رأيت لسانى قد ربط ولم أعد أستطيع أن أفتح فمى — وأحسست بأننى فاقد النطق — ولما لم أجب — قيل لى : ألم تعلم أن هذه المجلة تدافع عن الإسلام وأهله وأنها تحمل رسالة الهدى والنور والرشاد وفيها من الآيات والمواعظ والحكم والهدى النبوى ما ينفع المؤمنين العاملين . فكيف بك بعد ذلك تتكلم عنها مثل هذا الكلام . أجب — ولكننى بالطبع لم أجب لأنى لم أستطع النطق ولا بحرف واحد وأنا على حالة شديدة لا يعلمها إلا الله من فزع ورعب وخوف وألم — ثم قيل لى بعد ذلك — احذر الحذر كله من مثل هذا الكلام . وهددت بتهديدات عديدة لم أتبينها تماما وصحوت من نومى مرتاعا وانا لا أكاد اعدق ما أرى وأتيت إليك لاعتذر اولا عن كل ما صدر منى ضد هذه المجلة التى سأقبل على قرائتها والاحتفاظ بها واكبارها ما حييت — راجيا منك الرجاء أن لا تقطعها عنى . كما أنى ارجو أن أقبل يديك — فقلت له عفوا سيدى : أن هذه الرؤيا تدل على أشياء كثيرة جدا أكثر من أن تكتب أو تروى او تقص — وهى فى الوقت نفسه دالة الدلالة كلها على أن عناية الله تبارك وتعالى بالمدافعين عن الإسلام واهله والتصوف ورجاله تحقيقا لقوله تبارك وتعالى — ان الله يدافع الذين آمنوا — كما انها تدل ايضا على حفظ الله لك من ان تقع فيما يقع فيه الجاهلون لايات الله الظاهرة فى انفسهم وفى الآفاق .

أخبار صوفية

وكيل المشيخة العامة بالمطرية

● أصدر سماحة السيد محمد علوان قرارا بتعيين السيد عبد الرحمن محمد عبد المغنى وكيلا للمشيخة الصوفية العامة بقسم المطرية ونقطة القلج ، بدلا من السيد / أحمد محمد الحادى الذى أعفى من وظيفته .

* * *

● كما أصدر سماحته القرارات التالية :

١ — إعفاء السيد عبد القادر أحمد عمر من وكالة المشيخة العامة بمركز قويسنا .

٢ — إعفاء السيد عبد الرحمن عبد الحكيم دراز من وكالة المشيخة العامة بمركز الباجور .

٣ — إعفاء السيد أبو طبل محمد داود أبو طبل من وكالة المشيخة العامة عن مركز المحمودية .

٤ — إعفاء السيد أبو الفتح ابراهيم خليل من وكالة المشيخة العامة بمركز بنى مزار .

إلى السادة وكلاء المشيخة العامة

نرجو من السادة وكلاء المشيخة العامة كل فى منطقته عدم الالتفات إلى مايصل إليهم من طلبات التعيين والعزل والايقاف الخاصة بنواب الطرق وخلفائها مالم تكن قد اعتمدت من المشيخة العامة وصدرت عنها .

- صرح السيد الأستاذ أحمد عبد الله طعيمه وزير الأوقاف بأن زيارته للأراضى المقدسة وشهوده مؤتمر الحج قد ألهمه بأن العالم الإسلامى فى طريقه إلى القوة والحياة والمكانة العالمية الرفيعة التى كانت له .

- تعد المشيخة العامة للطرق الصوفية مشروعا لإصدار سلسلة دراسات صوفية تستهدف به ربط الأخلاق الصوفيه بالحياة العامة .

- أصدرت وزارة الثقافة والإرشاد فى سلسلة مطبوعاتها كتابا عن اليوجا الهندية قام بترجمته الأستاذ عريان سعد وأشرف عليه الدكتور محمد مصطفى حلمى وفى الكتاب صفحات مضيئة عن الطريق الروحى المضىء .

- أعد الأستاذ عباس محمود العقاد كتابا عن الغزالى حجة الإســـلام وكاتب التصوف الأول .

والأستاذ العقاد يؤمن بأن الإمام الغزالى هو أكبر المفكرين العالميين .

- يصدر المكتب التجارى الثقافى ببيروت سلسلة كتب عن أعلام التصوف الإسلامى .

- صرح الدكتور طه حسين بأن الحياة الروحية الإسلامية هى محل دراساته الآن . وأنه يرى فيها إلهاما وخصوبة لا يراها من غيرها من جوانب الثقافة الإسلامية .

الهيئة الزراعية المصرية

تأسست سنة ١٨٩٨

مقاومة الثاقبات فى الذرة

تساهم الهيئة الزراعية المصرية (الجمعية الزراعية المصرية سابقا) منذ حوالى خمسين عاما فى المحافظة على الثروة الزراعية فى مصر بمقاومة الآفات الضارة التى تصيبها ودراسة وسائل مقاومتها وإجراء مختلف الدراسات العلمية والتطبيقية عليها .

وقد ارتفعت صيحات الزراع فى السنين الأخيرة من تدهور محصول الذرة ، الغذاء الرئيسى لجمهرة الريفيين ، وكثرة ما يصيبه من آفات وبخاصة الدودة الثاقبة . فأخذت الهيئة على عاتقها القيام باضخم تجربة فى الجمهورية العربية وهى مقاومة الثاقبات فى مساحة ٨٠٠٠ فدان بمركز الشهداء بالمنوفية انقاذا لهذا المحصول الهام هذا إلى جانب لجانها العديدة المنتشرة فى حقول القطن والفاكهة تعمل فى صبر ومثابرة على مقاومة مختلف الآفات التى تصيبها مما نالت عليه تقدير الزراع وثقتهم

فهرس

الموضوع		الصحيفة
المنهج الصوفى لسماحة السيد محمد علوان		٣
شهيد التصوف	ـ الحلاج ـ للأستاذ طه عبد الباقى سرور	٨
حديث العقل والقلب	للدكتور محمد مصطفى حلمى	١٤
أوراق الأيام	للدكتور يحيى الخشاب	١٩
العقائد والمذاهب	للدكتور عبد الحليم محمود	٢٣
أحاديث أعلام الفكر	سعادة سفير الأفغانستان	٢٦
صوفيات عبر الحياة	للدكتور مصطفى كمال وصفى	٣٢
مبادى إنسانية	للدكتور محمد يوسف موسى	٣٥
ابن حزم	للدكتور عبد العزيز الأهوانى	٣٩
حديث فى التصوف	للأستاذ حسن كامل الملطاوى	٤٣
حالا الفناء والبقاء	للأستاذ أبو الوفا التفتازانى	٤٧
النفس البشرية	للإمام ابن القيم	٥١
الحقيقة المحمدية	للأستاذ حسنى طه شكيبان	٥
المذاهب المادية	الأستاذ حامد محمود الزفرى	٦٠
النبى محمد كلم الموتى	للدكتور على عبد الجليل راضى	٦٣
الروحية الحديثة ضلال وردة	للأستاذ حسن عبد الوهاب	٦٧
ما هذا الروح الطيب	للأستاذ محمود شلبى	٦٩
مجلة التصوف فى عامها الثالث	للأستاذ السيد العنانى	٧٣
محاكمة صوفية	للأستاذ عبد الوارث الصوفى	٧٦